

الفصل الثالث

فرساي، فايمر، مؤامرة مشرب البيرة

- ١ -

إن إعلان النظام الجمهوري في التاسع من تشرين الثاني ١٩١٨ بدأ لمعظم الناس في بلاد الحلفاء المنتصرين دليلاً لفجر يوم جديد طلع على الشعب الألماني وعلى بلاده. ففي الرسائل المتبادلة التي ختمت بإعلان الهدنة، شدّد ودرو ولسن Woodrow Wilson بلزوم تصفية أوتوقراطية هوهنزرن العسكرية. والظاهر أن إستجابة الألمان له كان يشوبها تردد. فقد أجبر القيصر على التنازل وترك البلاد. وألغى نظام الملكية وختم على مصائر كلّ الأسر المالكة في ألمانيا بسرعة وأعلنت حكومة الجمهورية. على انها أعلنت بمحض الصدفة! ففي عصر اليوم التاسع من تشرين الثاني. اجتمع في الرايخشتاغ Reichstag ما دُعي بأغلبية النواب الاشتراكيين الديمقراطيين بزعامة (فردريك إيبرت) و(فيليب شايدمان) على أثر استقالة المستشار (الأمير ماكس بادن). وقد علتهم الحيرة، لا يدرون ما يفعلون. وبعد أن أعلن الأمير ماكس نبأ تنازل القيصر فكر (إيبرت) وهو سُروجي المهنة. بتنصيب أحد أبناء قلهلم: أي إيناً خلاف وليّ العهد الفاسق. لأنه كان يفضل النظام الملكي الدستوري وفقاً للنمط الانكليزي. كان (إيبرت) رغم زعامته للإشتراكيين يكره الثورة الاشتراكية حتى انه صرّح مرة بقوله "اني اكرهها (اي الثورة) كراهة تحريم".

إلا أن الثورة كان يتطير شواظها في جو برلين التي شلّت حركتها بالاضراب العام وفي شارع اونتر دن ليندن Unter den Linden العريض على مسافة قصيرة من الرايخشتاغ كان السبّارطاكيون Spar-tacists بقيادة الإشتراكيين اليساريين "روزا لوكسمبرگ Rosa Luxemburg وكارل ليبنخت Liebnecht" يتهبأون من معقلهم في قصر القيصر لإعلان جمهورية سوفياتية وبوصول هذه الأنباء الى النواب الإشتراكيين في الرايخشتاغ إنتابهم الذعر ووجدوا من الضروري القيام بعمل يكبح فيه جماح الاسبّارطاكين. وفكر (شايدمان) بأمرٍ وحزمٍ رأيه دون ان يستشير رفاقه واندفع الى نافذة مظلة على كوينكزبلاتس Koenigsplatz حيث تجمعت حشود كبيرة فأطلّ برأسه وأعلنها جمهورية كأنها فكرة خاطفة قفزت الى رأسه! وعصف الغضب بالسروجي (إيبرت) فقد كان يأمل بحيلةٍ ما انقاذ عرش هوهنزرن. وهكذا ولدت الجمهورية الألمانية كأنما ولدت بالصدفة. إن كان الإشتراكيون أنفسهم غير جمهوريين ولا يعتمد عليهم في ذلك، فكيف ينتظر أن يكون اليمينيون؟ على ان هؤلاء نزلوا عن مسؤولياتهم وادعوا السلطة السياسية بالتضامن مع قائدي الجيش لودندورف وهندنبرگ - أيدي الديمقراطيين الإشتراكيين المترددين. ونجحوا بعملهم هذا في أن يضعوا على عواتق زعماء الطبقة



إيبيرت

العاملة الديمقراطيين هؤلاء مسؤولية التوقيع على معاهدة الإستسلام ثم معاهدة الصلح. وبهذا ازاحوا عن كواهلهم عبء اللوم في هزيمة ألمانيا وكل ما نجم من يلايا وشقاء عن الحرب الفاشلة وشروط الصلح، وما ستجره من ويلات على رؤوس الشعب الألماني. كانت حيلة مفضوحة يفهمها إين يومين لكنها نجحت في ألمانيا وقرر نجاحها مصير الجمهورية منذ البداية.

ولعلها ما كانت تقوى على تقرير ذلك، فقد كان الديمقراطيون الإشتراكيون في تشرين الثاني ١٩١٨ أصحاب السلطة المطلقة، ويوسعهم الإسراع في بناء أسس جمهورية ديمقراطية راسخة دائمة لكن عملهم هذا كان يتطلب منهم تفتيت كل القوى التي تدعم إمبراطورية هوهنزولرن ولا تريد أن تتقبل بإخلاص ألمانيا ديمقراطية، كانت تستطيع ضرب هذه القوى ضربة لا تقوم لها قائمة

بعدها أو على الأقل أن تكبح جماحها وتحد من سلطانها حداً أبدياً. هذه القوى هي ملاك الأرض من Junkers الإقطاعيين وأفراد الطبقة العليا وكبار رجال الصناعة الذين يهيمنون على الكارتلات الصناعية الاحتكارية الجبارة وقادة المحاربين الأحرار المتجولين والموظفين الكبار في حكومة القصر ولاسيما الطغمة العسكرية وأعضاء هيئة القيادة العليا. كان ينبغي للإشتراكيين أن يحطّموا عدداً كبيراً من الإقطاعيات غير النافعة إقتصادياً ويسحقوا الاحتكارات الصناعية والكارتلات ويظهروا جهاز الحكم من البيروقراطية، ويصلحوا أجهزة القضاء والشرطة والجامعات والجيش ويظهروا من العناصر التي تكيد للنظام الجمهوري ولا تخلص له الولاء. وهذا ما عجز عنه أولئك الديمقراطيون الإشتراكيون ولم يحملوا أنفسهم على اجرائه لأن معظمهم كانوا نقابيين في رغد من العيش تعودوا الإنحناء إحتراماً للسلطة القديمة الطاغية، التي تشربت بها نفوس الألمان من مختلف الطبقات. وبدلاً من هذا راخوا ينزلون عن سلطتهم الى القوة التي كانت هي المسيطرة دائماً في تاريخ ألمانيا الحديث وأعني بها الجيش. ومع أن هذا الجيش مني بالهزائم في سوح القتال، فقد كان يحاول لمّ شعته في الداخل ليهزم الثورة. وللوصول الى هذين الغرضين عجلّ بالحركة دون خجل أو حياء.

في ليلة ٩ تشرين الثاني ١٩١٨ بعد إعلان الجمهورية بيضع ساعات رنّ جرس التليفون في مكتب (إيبيرت) في مستشارية الرايخ بربلين وهو تليفون خاص جداً لأنه متصل اتصالاً مباشراً بمقر القيادة العليا في شپا Spa بخط سرّي واحد. وكان (إيبيرت) بمفرده فالتقط السماعة وسمع عبارة: "المتكلم غروينر Groener!" فما سمع السروجي السابق الذي ما زال مشدوهاً بحوادث يومه والذي رفع الى يديه المترددين بكلّ ما تبقى من السلطات السياسية في ألمانيا الكابية حتى ركبته الخيلاء. كان الجنرال

(فلهلم فون گروينر) قد خلف لودندورف في منصب الرأسة الأولى لهيئة الأركان العامة. وهو الذي تجرأ في ساعة مبكرة من ذلك اليوم في (شپيا) على ان يقدم على أمرٍ نكص عنه رئيسه الأعلى الفيلد مارشال فون هندنبرگ فقد ابلغ بنفسه القيصر انه لم يعد حائزاً ولاء جنوده ومن الضروري ان يتنازل. وهو لاشك عملٌ يتسم بالجرأة لم تغفره له الطغمة العسكرية أبداً. وقد نشأت بينه وبين إيبيرت علاقة إحترام متبادل منذ العام ١٩١٦ لما كان الجنرال يقوم بالاشراف على الانتاج الحربي ويعمل بالقرب من الزعيم الإشتراكي. وكانا قبيل هذه الاحداث قد اجتمعاً في أوائل تشرين في برلين وبحثا فيما بينهما الوسائل الكفيلة بإنقاذ النظام الملكي لأرض الأجداد.

وفي هذه اللحظة بالذات في أخرج ساعة قرّبها أرض الأجداد يتصلان مرة أخرى بتلفون سرّي. ولم يطل الأمر بالزعيم الإشتراكي ونائب القائد العام للجيش حتى عقدا صفقة لم يظهر مكنونها للملأ إلا بعد عدة سنوات. هذه الصفقة قدر لها أن تقرر مصير البلاد. لقد إتفقا على قمع (الفوضى) ومكافحة البولشفية والمحافظة على الجيش بكل تراثه وتقاليده. وتعهده (گروينر) مقابل ذلك أن يقوم الجيش بعضد الحكومة الجديدة ومعاونتها على تثبيت نفسها وتحقيق أهدافها. وسأل (إيبيرت):

- هل سيعود الفيلد مارشال هندنبرگ لتسلّم القيادة؟ فأجابه (گروينر) انه سيفعل؛ فقال إيبيرت:

- اذن بلّغ الفيلد مارشال شكر الحكومة^(١)

وبهذا كتبت النجاة للجيش الألماني. إلا ان الجمهورية هوت في أول يوم من ميلادها. ولم يخدمها أحد من الجنرالات بإخلاص عدا (گروينر) وقلة تافهة. ثم انهم خانوها أخيراً بزعامه (هندنبرگ) نفسه وسلموها للنازيين لقمة سائغة.

في تلك اللحظة كان ما حصل في روسيا يشغل بال إيبيرت وغيره من الإشتراكيين. انهم لم يكونوا يريدون ان يؤولوا الى ما آل اليه (كرنسكي Kerensky). ولا يريدون أن يكتسهم البولشفيك. ففي كل بقعة من ألمانيا كانت سوفياتات الجنود والعمال تبرز الى عالم الوجود وتتسلم السلطة طبق ما حفلت في روسيا. هذه السوفياتات نفسها هي التي اختارت في العاشر من تشرين الثاني مجلساً مفوضي الشعب وجعلت على رأسه (إيبيرت) ليحكم ألمانيا بصورة مؤقتة. وفي كانون الأول إجتمع أول (كونفراس) سوفياتي ألماني في برلين من مندوبين عن مجالس العمال والجنود من كل أرجاء ألمانيا. وطالب بتنحية (هندنبرگ) وتسريح الجيش النظامي وإستبداله بحرسٍ وطنيٍّ (ميلشيا) ينتخب هو ضباطه ويكون تحت سلطة مجلس مفوضي الشعب مباشرة وكان هذا ما لا قبل ل(گروينر) وهندنبرگ به. فرفض الاعتراف بسلطة (الكونفرانس) السوفياتي ولم يحاول إيبيرت شيئاً لتنفيذ هذه المقررات. إلا ان الجيش الذي كان يناضل نضال المستميت في سبيل البقاء، طلب من الحكومة ان تقوم بعملٍ ايجابي وتعهد باسنادها. وقبل حلول عيد الميلاد بيومين قامت فرقة البحارة الشعبية التي يسيطر عليها الاسيبارتاكبيون الشيوعيون بإحتلال (فلهلمشتراسه) وإقتحام قصر المستشارية وقطع خطوط تلفوناتها إلا ان الخط السري الموصول بمقر قيادة الجيش العامة بقي سليماً. ومنه طلب (إيبيرت) النجدة

١- هويلر بينيت: الطيطان الحشبي هندنبرگ، الص ٢٠٧-٢٠٨

وتعهدت القيادة بتحريك حامية (بوتسدام) إلا أن البحارة المعتصمين تقهقروا قبل وصولها الى مقراتهم في اصطبلات القصر الإمبراطوري الذي كان بيد الاسبارطاكين أيضاً. وبقي هؤلاء وعلى رأسهم (كارل ليبنخت وروزا لوكسمبرگ) أشهر خطيبين جماهيريين في ألمانيا واقواهم بياناً يدفعون العمال دعفاً لإقامة جمهورية سوفياتية. وكانت قواتهم المسلحة في برلين تتعاضم وتشتد. وفي صبيحة عيد الميلاد استطاعت فرقة البحارة الشيوعية أن تصدّ بكل سهولة هجوماً قام به الجيش النظامي الزاحف من بوتسدام مستهدفاً زحزحتها عن الاصطبلات الإمبراطورية وشدّ (گروينر وهندنبرگ) النكير على (إيبرت) لتنفيذ اتفاقهما من طرفه، حول سحق البولشفيك وكان هذا أمنية الزعيم الإشتراكي الكبرى، فبادر بعد مرور يومين من العيد الى تعيين گوستاف نوسكه Gustav Noska وزيراً للدفاع الوطني. وبعد هذا التعيين راحت الحوادث تترى بمنطقٍ وتسلسلٍ يتوقعه كل من عرف هذا الوزير الجديد.

كان (نوسكه) جزّاراً ماهراً في الجزارة، شق طريقه في الحركة النقابية والحزب الديمقراطي الإشتراكي ووصل الى عضوية الرايخشتاغ في ١٩٠٦ وعرف منذ ذلك الحين بأنه خبير الحزب في الشؤون العسكرية كما عرف بقوميته المتعصبة وشدّة مراسه. واختاره (الأمير ماكس بادن) لقمع حركة عصيان بحرية في (كيل) في الأيام الأولى من تشرين الثاني ١٩١٨ فنجح في مهمته. وهو رجل مربع الذقن ذو قوة جسمانية خارقة وحيوية لاينضب معينها وذكاء محدود. وهو الطابع العام الذي يميز أرباب مهنة القصابية كما قال عنه خصومه. وأعلن عند تعيينه وزيراً للدفاع بأن "أحدهم يجب أن يكون الكلب السلاقي!"

وفي أوائل شهر كانون الثاني ١٩١٩ شرع بضرب ضربته. وبين يومي ١٠-١٧ منه (أطلق عليه البرلينيون اسم الأسبوع الدموي فترة من الزمن) انزل الجيش النظامي ونزلت وحدات المحاربين الأحرار، وهي مزودة بأوامر من (نوسكه). يقودها الجنرال فون لوتفيتز^(٢). فسحقت الاسبارطاكين الشيوعيين وقبضت على روزا لوكسمبرگ وكارل ليبنخت فرقة حرس الفرسان وقام ضباط الفرقة بإعدامهما. وياؤها حرب الشوارع في برلين جرت الإنتخابات العامة للجمعية الوطنية. لوضع دستور جديد. وكشف التصويت الذي تمّ في ١٩ كانون الثاني ١٩١٩ أن الطبقتين المتوسطة والعليا قد استعادتا بعض شجاعتهما في فترة لا تزيد عن الشهرين إلا بقليل، تلك الشجاعة التي زالت بقيام الثورة. وكانت النتيجة أن الديمقراطيين الإشتراكيين (الأغلبية) مع الإشتراكيين المستقلين، الذين تولوا السلطة

٢- بعد ذلك بسنة واحدة. أظهر الجنرال فرايهر فالترفون لوتفيتز Freiherr Walter Von Luettwitz الضابط الرجعي من المدرسة القديمة، كم هو مخلص للجمهورية بصورة عامة ولنوسكه بصورة خاصة عندما قاد وحدات المحاربين الأحرار لإحتلال برلين مساندة لإنقلاب كاپ. واضطر إيبرت ونوسكه وغيرهما من أعضاء الحكومة في الساعة الخامسة من فجر يوم ١٣ آذار ١٩٢٠ الى الفرار منها. أما الجنرال فون سيكث رئيس أركان الجيش وأحد مرؤوسي (نوسكه) بحكم الوظيفة، فقد أبى أن يسمح للجيش بالدفاع عن الجمهورية ضد (لوتفيتز وكاپ). وقد هتف نوسكه على اثر ذلك: "لقد اظهرت هذه الليلة إفلاس كل سياسي. إن ثقتي بالضباط العسكريين قد تزعزعت. لقد تركتموني جميعاً". اقتبسها هويلر بينيت في كتابه The Nemesis of Power - ص ٧٧.

لعدم رغبة فريق آخر بمشاركتهم في حمل العبء - حصلوا على ١٣,٨ مليون صوت من أصل ٣٠ مليوناً وهو المجموع الكلي للناخبين فربحوا (١٨٥) مقعداً من أصل (٤٢١) في الجمعية. وهذه النتيجة بعيدة جداً عن الأغلبية. مما دلّ على أن ألمانيا الجديدة لن تبني طبقة العمال وحدها. ونالت الاحزاب الباقية وهي حزبا الطبقة المتوسطة (الوسط) ويتمثل في الحركة السياسية للكنيسة الكاثوليكية وفي الحزب الديمقراطي (الذي ولد من اندماج الحزب التقدمي القديم والجناح اليساري للوطنيين الأحرار في كانون الأول) حصل هذان على ١١,٥ مليون صوت ففازا ب١٦٦ مقعداً في الجمعية وكلاهما يجاهران باسنادهما لجمهورية ديمقراطية وان وجد لديهم ميل كبير الى إعادة الملكية. اما المحافظون اليمينيون فرغم تناقص عددهم لم يتلاشوا من المسرح السياسي. كان بعض زعمائهم قد اختفى عن الاظار في تشرين الثاني وطلب بعضهم كالكونت فون فيستارپ Von Westarp الحماية من (إيبرت). والآن عمدوا الى تغيير اسم حزيمهم فجعلوه "حزب الشعب الألماني الوطني" ودخلوا الإنتخابات ليحصلوا على ٣ ملايين صوت ودفعوا الى الجمعية الوطنية بأربعة وأربعين نائباً. وحصل حلفاؤهم اليمينيون "الأحرار الوطنيون" الذين غيروا اسمهم الى "حزب الشعب الألماني" على ١,٥ مليون صوت تقريباً وأحرزوا تسعة عشر مقعداً. ومع أن هذين الحزبين اليمينيين كانا اقلية ظاهرة. إلا أن المقاعد التي احروزها كانت تكفيهم لجعل صوتهم بارزاً في الجمعية. فما أن إنتأمت الجمعية الوطنية في (فاير) في ٦ شباط ١٩١٩، حتى انبرى زعمائهما للدفاع عن اسم القيصر فلهلم الثاني. وتركية الأسلوب الذي وجه به الحزب هو وجنرالاته. ويبدو أن "گوستاف شتريزمان Stressemann" رئيس حزب الشعب لم يعان ما لاح لكثيرين فيما بعد - إنقلاباً في العقل والقلب فبقي معروفاً حتى ١٩١٩ بالرجل المتكلم باسم القيادة العليا للجيش في الرايخشتاغ أو "فتى لودندورف" كما اطلقوا عليه والمساند العنيف لسياسة الضمّ والمتعصب الشديد لشنّ حرب غواصات حُرّة.

إن الدستور الذي سنّته الجمعية بعد ستة أشهر من المناقشات (صوت عليه في ٣١ تموز ١٩١٩ وصدّقه رئيس الجمهورية في ٣١ آب) كان على الورق أعلى وثيقة من نوعها رأها ضياء القرن العشرين في الحرية والديمقراطية. فقد قارب الكمال من ناحية الاجهزة وتوزيع والسلطات وكان مملوءاً بالمبتدعات العجيبة الأملعية الضامنة جهازاً ديمقراطياً خالصاً. فأخذت فكرة حكومة الوزراء من انكلترا وفرنسا. وفكرة رئيس جمهورية ينتخبه الشعب بالاقتراع المباشر من الولايات المتحدة، وطريقة إجراء الإنتخابات من سويسرا ووضع الدستور نظاماً محكماً معقداً للتمثيل النيابي النسبي على أساس التصويت بالقائمة حتى يحول دون أيّ تبديد لأصوات الناخبين ويعطي الاقليات الصغيرة حق التمثيل في البرلمان^(٣).

٣- كان ثم بعض الثغرات والحق يقال ظهر في النهاية أن بعضها كان قتّالا. قد يحول التمثيل النيابي النسبي والتصويت بالقائمة دون تبديد الأصوات حقاً لكنه يتمخض يتمخض بتعدد الاحزاب الصغيرة المنشقة المتطابرة التي قد تؤدي بالأخير الى ان يكون وجود أغلبية ثابتة في الرايخشتاغ أمراً مستحيلاً. ويؤدي الى تغيير متعدد في الحكومة [في إنتخابات ١٩٣٠ سجل دخول زهاء ثمانية وعشرين حزبا سياسياً في الاقتراع العام]. كانت الجمهورية ستنعم بكثير من الاستقرار والثبات لو لم تنبذ بعض آراء الأستاذ هوگو پريوس Hugo Preuss =

إن فقرات دستور فايمر كانت جميلة الوقع ساحرة الجرس في كل أذن ديمقراطية الإتجاه فقد اثبتت السيادة للشعب "الشعب مصدر السلطات السياسية"، ومنح الرجال والنساء حق تصويت مساوٍ في سن العشرين، و"كل الألمان متساوون أمام القانون... الحرية الشخصية مصونة... لكل ألماني الحق في التعبير عن رأيه بحرية... لكل الألمان الحق في تأسيس منظمات وجمعيات... جميع سكان الرايخ يتمتعون بحرية المعتقد والضمير كاملة..." ليس في الدنيا من هو أكثر حرية من الألماني، وليس ثم حكومة أعلى ديمقراطية وحرية من هذه الحكومة... على الورق فقط...

- ٢ -

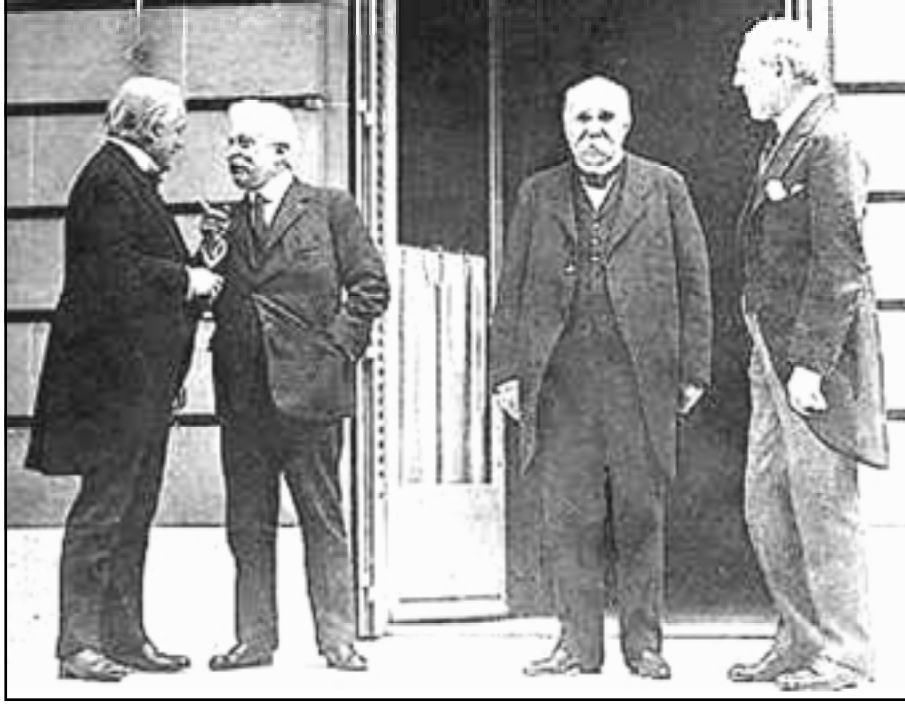
نشبح فرساي

قبل الفراغ من سنّ دستور (فايمر) برز حادث ليس منه بُدّ وكان فيه القضاء بلعنة الموت على الدستور وعلى الجمهورية التي انبثقت منه. هذا الحادث هو إبرام معاهدة (فرساي). كان الشعب الألماني يبدو غير مكترث بما سيتمخض به إندحارهم في الأيام الأولى التي حفلت بالفوضى والفتن، وكذلك ظلّ بعد مناقشات الجمعية الوطنية في مدينة (فايمر). وحتى لو اهتموا بالمسألة فانهم كانوا واثقين من حقهم بصلح عادلٍ مبنيّ لا على أساس خسارتهم الحرب، بل على أساس نقاط (ولسن) الأربع عشرة المشهورة بعد ان نفذوا ما ألحّ الحلفاء بطلبه وهو التخلص من آل هوهنزولرن وسحق البولشفيك وقيامهم ببناء حكومة ديمقراطية ذات نظام جمهوري. ويظهر ان ذاكرة الألمان الضعيفة لم تمتد الى أبعد من سنة واحدة مضت، الى يوم الثالث من آذار ١٩١٨، عندما فرضت القيادة الألمانية العليا معاهدة صلح برست ليتوفسك Bresk Litovsk على روسيا المهزومة، المعاهدة التي وصفها مؤرخ بريطاني بعد عشرين عاماً من إبرامها وبعد هدوء العواطف وزوال الحقد بأنها "مذلة الى أقصى حدٍ وبشكل غير مسبوقٍ من تاريخ العصور الحديثة"^(٤).

لقد جردت روسيا من أرض تناهز مساحتها مساحة إمبراطورية النمسا والمجر وبلاد تركيا مجتمعة ويزيد عدد سكانها عن ستة وخمسين مليوناً. أعني ٣٢ بالمائة من المجموع العام لنفوسها. وحرمتها من ثلث مجموع أطوال سككها الحديدية العام. و٧٣ بالمائة مما تملكه من مناجم الحديد، و٨٩ بالمائة من مجموع الانتاج الكليّ لفحمها الحجريّ وسلبيتها خمسة آلاف معمل ومصنع. وكان مسك الختام

= واضح لائحة الدستور الرئيس. فاقترح في (فايمر) أن تجعل ألمانيا دولة مركزية وأن يتم حلّ بروسيا وغيرها من الدول المنفردة ويغير وضعها السياسي من دولة الى اقليم. لكن الجمعية رفضت هذه المقترحات. وأخيراً هناك المادة الثامنة والأربعون من الدستور التي تمنح رئيس الجمهورية سلطات دكتاتورية في الأحوال الاستثنائية. إن استعمال هذه المادة من جانب المستشارين بروننك Bruening وثون يابن وثون شلايخر في عهد الرئيس هندنبرك ساعدهم على الحكم دون موافقة الرايخشتاغ وعليه فقد تم القضاء على الحكم الديمقراطي البرلماني في ألمانيا قبل مجيء هتلر.

٤- المرجع السالف (هويلر بينيت) ص ١٣١



الأربعة الكبار في فرساي (من اليمين): ولسن - كليمانصو - أورلاندو - لويد جورج

غرامة حربية قدرها ستمائة مليون مارك.

واقبل يوم الحساب على ألمانيا في أواخر ربيع عام ١٩١٩ ووضع الحلفاء شروط معاهدة فرساي دون مشاورة مع ألمانيا، وتمّ نشرها في برلين في السابع من أيار فكان لها وقع الصاعقة على شعب أصرّ على ان يُعَلل نفسه بالأمال الى آخر لحظة. وعقدت إجتماعات عامة ساخطة، احتجاجاً على المعاهدة وارتفعت الأصوات تطالب برفض التوقيع عليها وصرخ (شايدمان) المستشار أثناء انعقاد الجمعية الوطنية في فايمر "ألا فلتشَلّ تلك اليد التي توقع المعاهدة". وفي الثامن من أيار قال إبيرت رئيس الجمهورية المؤقت أن شروط المعاهدة "غير معقولة ولا تنطق" وكذلك صرحت الحكومة. وفي اليوم التالي كتب الوفد الألماني الى فرساي مذكرة الى كليمنصو Clemenceau الصلب العنيد جاء فيها "إن معاهدة كهذه لا يمكن أن تحتملها أمة من الامم". ما الذي كان فيها غير محتمل ليت شعري؟ انها قضت بإعادة مقاطعتي الألزاس واللورين الى فرنسا وقطعة أرض صغيرة الى بلجيكا. وقطعة صغيرة أخرى من مقاطعة شلزفيك Schleswig الى الدانمرك بعد إجراء إستفتاء فيها. وهي مقاطعة سلخها بسمارك من بلاد الدانمرك في القرن الماضي بعد ان هزمها في الحرب. واعادت الى البولنديين الأراضي

التي اغتصبها الألمان من جسم بولندا بعد تقسيمها. (لم يُعد جزء من تلك البقاع إلا بعد إستفتاء!) وأحد الشروط التي اثارها هياج الألمان وحقدهم هو (ممر الدانزك) أنهم لم يسخطوا على فصل بروسيا الشرقية عن ارض الجدود بمر لبولندا الى البحر، بل لأنهم كانوا يحتقرون البولنديين ويعتبرونهم أمة منحطة. ولم يكونوا بأقل سخطاً حين اجبرتهم المعاهدة على تحمل وزر الحرب ومسؤولية اثارها بطلب تسليم القيصر فلهم للسلطات الحليفة مع ثمانمائة آخرين لمحاكمتهم كمجرمي حرب.

اما التعويضات فقد قُدر أن يتم تسويتها فيما بعد. على أن المعاهدة اوجبت دفع خمسمائة بليون دولار بالماركات الذهبية خلال ١٩١٩-١٩٢١ كدفعة أولى. وأن تقدم بعض المواد والبضائع كالفحم والسفن والاخشاب والماشية الخ... عوضاً عن النقد. إلا أن الغصة الذباجة التي خلفتها جرعة فرساي في خلق ألمانيا هي تجريدها من السلاح^(٥) وبهذا حالت بين ألمانيا وبين سيطرتها على أوروبا لفترة من الزمن على الاقل وبصرف النظر عما سبق فانها- لم تكن كالمعاهدة التي فرضتها ألمانيا على روسيا لأنها تركت الرايخ سليماً من الناحية الجغرافية والاقتصادية تقريباً وحفظت لألمانيا وحدتها السياسية وقوتها الإندفاعية كأمة عظيمة الشأن.

عارضت الحكومة المؤقتة (فايمر) في قبول شروط معاهدة فرساي المجحفة معارضة شديدة. بإستثناء (إرزبرغر) الذي ألح في توقيعها متعللاً بإمكان التخلص من شروطها فيما بعد باسهل ما يمكن. وخلف الحكومة وقفت أغلبية الألمان الساحقة من أقصى اليمين الى أقصى اليسار.

والجيش؟ إن رفضت الحكومة التوقيع على المعاهدة هل بإمكان الجيش الوقوف ضد هجوم حليف من الغرب سيئسناً لا محالة؟ وضع (إيبرت) هذا السؤال أمام القيادة العليا التي كانت قد نقلت مقرها الى (كولبرگ Kolberg) في بوميرانيا Pomerania. فأجاب الفييلد مارشال فون هندنبرگ في ١٧ حزيران، (بإيحاء وإلحاح ناخس من الجنرال غروينر الذي وجد المقاومة العسكرية غير مجدية قال: "في حالة استئناف العمليات الحربية أرى في الامكان إعادة الاستيلاء على اقليم بوزن Posen [في بولندا] والدفاع عن حدودنا من جهة الشرق. أما في الجبهة الغربية فلا يمكننا الإعتماد على الصمود في وجه أي هجوم كبير يقوم به العدو، نظراً الى تفوق الحلفاء العددي واستطاعتهم تطويقنا من الجناحين.

لذلك كان نجاحنا في العمليات مشكوكاً فيه. لكنني كجندي لايسعني إلا أن افضل الموت بشرف على قبول صلح مشين".

إن العبارة الختامية للقائد العام الشهير جاءت منسجمة لأبدع التقاليد العسكرية الألمانية إلا أن مبلغ صدقها يمكن الحكم عليه بحقيقة أخفيت عن الشعب الألماني في حينه وهي أن هندنبرگ كان متفقاً مع (گروينر) بأن مقاومة الحلفاء لا تتمخض بهزيمة ساحقة فقط بل قد ينجم عنها القضاء على هيئة أركان الجيش ومن ثم على ألمانيا نفسها.

٥- حددت المعاهدة عدد القوات المسلحة بمائة ألف متطوع بعقود طويلة الأجل ومنعت تسليحه بالطائرات والدبابات. وحلت هيئة الأركان العامة واعتبرتها غير قانونية. وقلص الأسطول تقليصاً شديداً بحيث أصبح قوة رمزية. وحظر عليه بناء غواصات أو بوارج تزيد حمولتها على عشرة آلاف طن.

اراد الحلفاء جواباً قاطعاً من ألمانيا. وفي ١٦ حزيران أي قبل يوم واحد فقط من ادلاء هندنبرگ برأيه التحريري لـ(إيبرت) وجهوا إنذاراً نهائياً: إما أن تقبل المعاهدة في أجل أمده ٢٤ حزيران. أو تلغى الهدنة وتقوم قوات الحلفاء (باتخاذ الخطوات التي تراها ضرورية لفرض الشروط). وعاد (إيبرت) ثانيةً يستنجد به(گروينر) قائلاً لو وجدت القيادة أضعف احتمال بنجاح المقاومة العسكرية لهجوم الحلفاء. فإنه يتعهد برفض المعاهدة عند وضعها في التصويت أمام الجمعية، على انه يريد جواباً فورياً. واقتبل اليوم الأخير من أجل الانذار واجتمع أعضاء الوزارة في الساعة والدقيقة الثلاثين لاتخاذ القرار الحاسم. وفوتح (هندنبرگ وگروينر) فعاد الفيلد مارشال الهرم المجهد يجيب: "تعلمون مثلما أعلم إن المقاومة المسلحة لا تجدي نفعاً" على أنه ألقى بعبء الجواب السيء النقيبة على (گروينر) كما فعل في التاسع من تشرين الأول ١٩١٨ في (شيبا) حين ثقلت على نفسه مصارحة القيصر بالحقيقة الختامية. وجبن اليوم عن قولها أيضاً لرئيس الجمهورية المؤقتة فقال لگروينر: "يمكنك أن تقدم جوابك للرئيس وهو جوابي ايضاً"^(٦)، فحمل الجنرال الباسل المسؤولية على عاتقه، وهي من صميم واجب الفيلد مارشال، وهو يعرف جيداً أنها ستجعله كبش فداء لهيئة الأركان العليا، وابلغ رئيس الجمهورية بوجهة نظر القيادة تلفونياً. وسرى الارتياح في نفوس أعضاء الجمعية الوطنية وتنفسوا الصعداء لأن قادة الجيش أخذوا المسؤولية على عواتقهم. وصوتوا على إبرام المعاهدة بأغلبية كبيرة وابلغ القرار الى(كليمنصو) قبل انتهاء الأجل المضروب بتسع عشرة دقيقة فقط ووقعت معاهدة الصلح في قاعة المرايا بقصر فرساي.

-٣-

بيت منقسم على نفسه

ومنذ ذلك اليوم فصاعداً أضت ألمانيا بيتاً منقسماً على نفسه. اليمينيون لا يرضون لا بالمعاهدة ولا بالجمهورية التي ابرمتها. كذلك الجيش فقد أعلن إستنكاره بعد رده من الزمن (باستثناء الجنرال گروينر) في حين انه كان قد أقسم يمين الولاء للنظام الجمهوري، كما كان صاحب القول الفصل في قرار التوقيع على المعاهدة. وظلّ المحافظون مسكين بدفة الإقتصاد رغم ثورة تشرين الثاني، لأنهم بقوا يملكون صناعاتهم وأراضيهم الزراعية الشاسعة ومعظم رأسمال البلاد. وكان بإمكانهم إستخدام ثرواتهم وقد استخدموها فعلاً لتمويل الاحزاب والصحافة السياسية التي شرعت منذ ذلك الحين تنخر في جسم الجمهورية.

وراح الجيش يراوغ في تنفيذ القيود التي كبلته بها معاهدة الصلح ويحتال عليها قبل جفاف حبر موادها. وليشكروا غباوة وقصر نظر زعماء الإشتراكيين. لم يكن نجاح القيادة العليا قاصراً على ابقاء تقاليد الجيش وقوانين فروسيته الموروثة بل نجحت في جعله المحور الحقيقي للسيطرة السياسية

٦- هويلر بينيت "Nemesis..." ص ٥٨.

في ألمانيا الجديدة. لقد ظلّ الجيش الى آخر لحظة من عمر الجمهورية القصير غير مرتبط بأي حركة سياسية لكنه أصبح بقيادة الجنرال (هانتر فون سيكت) مبدع (جيش الرايخ) العبقري الذي يعد مائة ألف، دولة ضمن دولة رغم قلة عدده. وراح يمارس نفوذاً متعظماً على سياسة البلاد الداخلية والخارجية حتى وصل الأمر الى أن بقاء الجمهورية بات مرهوناً بإرادة أعضاء القيادة العليا لا غير. ولأنه "دولة داخل دولة" فقد حرص على إستقلاله عن الحكومة الوطنية. كان دستور جمهورية (فايمر) ينصّ على خضوع الجيش للحكومة والبرلمان ومثله في ذلك مثل سائر الجيوش القوات المسلحة في الديمقراطيات الغربية إلا انه لم يكن كذلك فقد تعذر على هيئة القيادة العليا التخلي عن حب الملكية وكره الجمهورية. ولقد طالبت قلة من الزعماء الإشتراكيين أمثال شايدمان وكرزسنسكي Grzesinski "ديمقراطية" القوات المسلحة ودعت الى درء الخطر الكامن في إستئمان الجيش بيد ضباط نشأوا على نظام الحكم القديم وتقاليده الإمبراطورية. لكن دعوتهم هذه هزمت وحق الفشل بأرائهم عندما جاءتهم الاعتراضات تترى ليس من قادة الجيش وحدهم بل من رفاقهم الإشتراكيين. وفي طليعتهم وزير الدفاع (نوسكه). هذا الوزير الجمهوري... البروليتاري كان يفخر علناً بأنه يريد إحياء "ذكريات الجندي الفخور عن الحرب العظمى". لقد فشلت الحكومة المنتخبة إنتخاباً سريعاً في بناء جيش جديد مخلص لمفاهيمها الديمقراطية يخضع للوزارة والرايخستاغ. وكان فشلها غلطة قتلتها كما ستثبت لها الأيام. وفشلها في تطهير جهاز القضاء كان الآخر غلطة مميته. فهينة القضاة الذين كانت وظيفتهم تطبيق نصوص القانون. جعلوا محاكمهم مراكز للعمل ضدّ الثورة. فصاروا يحدون عن جادة العدل ليخدموا أغراضاً سياسية رجعية. ولقد قال المؤرخ فرانز. ي. نيومان Franz L. Neumann: "يستحيل علينا أن نخطأ في الإستنتاج بأن العدالة السياسية كانت من أسود الصفحات في حياة الجمهورية الألمانية"^(٧).

قامت الحكومة بعد مؤامرة كاب الفاشلة بتوجيه تهمة الخيانة لسبعمئة وخمسة متهمين ولم يحكم من كل هذا العدد غير شخص واحد هو مدير شرطة برلين. وحددت عقوبته بالحبس المشرف خمس سنوات. وعندما حجزت دولة بروسيا على راتبه التقاعدي قررت المحكمة العليا فكّ الحجز واعادته اليه.

وفي كانون الأول ١٩٢٦ قضت محكمة ألمانية للجنرال لوتفيتز وهو قائد إنقلاب (كاب) العسكري بتسليمه المتراكم من تقاعده طول المدة التي كان فيها ثائراً على الحكومة فضلاً عن متراكم السنين الخمس التي قضاها في المجر هارباً من وجه القضاء.

يقابل ذلك حبس مئات من أحرار الفكر الألمان أماداً طويلة بتهم الخيانة. لأنهم كشفوا على صفحات الجرائد أو بالخطب العلنية قيام الجيش بخرق متواصل لشروط معاهدة فرساي. وطبقت أحكام قوانين الخيانة العظمى بقسوة متناهية على مساندي الجمهورية أما اليمينيون الذين كانوا يعملون على إسقاطها (ولم يطل الأمر بهتلر حتى علم هذه الحقيقة) فإما يُخلى سبيلهم أو تفرض عليهم أخف

٧- فرانز نيومان F.L.Neumann "Behmoth" ص ٢٣.

العقوبات. حتى القتلة والسفاكين، إن كانوا من اليمين وضحاياهم من الديمقراطيين والجمهوريين عاملتهم المحاكم برأفة وشملتهم برعايتها أو أعانتهم على الهرب وهم في التوقيف انتظاراً للمحاكمة باستخدام ضباط الجيش ومتطرفي اليمين لتنظيم خطط التهريب، كما حصل فعلاً. وهكذا ترك للإشتراكيين الطيبين وأعاونهم من الديمقراطيين وجناح الوسط الكاثوليكي حمل أعباء الجمهورية التي كانت تترنح آيلة للسقوط منذ ولادتها واحتملوا الكره المنصب عليهم والشتائم المقذعة وأحياناً رصاص خصومهم الذين كانوا يتكاثرون ويشتدّ ساعدهم. وهتف أسفالد شبنغلر Oswald Spengler الذي طبق صيته الآفاق بكتابه "إنحلال الغرب":

- ختم على مصير دستور فايمر بالفناء في قلوب الشعب. وفي (بافاريا) امسك الشاب المتحمس هتلا، المدّ القومي الجديد اللاديمقراطي اللاجمهوري بقبضة شديدة وبدأ يعلو ظهره.

وكانت الاحداث المتعاقبة تمده بأكثر العون. وفي مقدمتها إثنان: أولهما هبوط قيمة المارك وثانيها إحتلال الفرنسيين حوض (الروهر). رأينا في ما سبق أن المارك بدأ يهبط في عام ١٩٢١ حتى وصلت قيمة الدولار الواحد ٧٥ ماركاً. وفي السنة التالية ارتفعت النسبة الى ٤٠٠ مارك للدولار الواحد وفي مطلع عام ١٩٢٣ أصبح الدولار يعدل ٧٠٠٠ مارك. طلبت الحكومة الألمانية من الحلفاء في نهاية عام ١٩٢٢ منحها تصريحاً بتأجيل الديون (موازتوريوم) الناشئة من التعويضات فرفضت حكومة (بونكاريه Poincare) ذلك رفضاً باتاً وعندها توقفت ألمانيا عن شحن الخشب فأمر الرئيس الفرنسي العنيد الذي كان رئيس الجمهورية الفرنسية زمن الحرب أن تزحف الجيوش الفرنسية على ألمانيا وتحتلّ الروهر وهو قلب ألمانيا الصناعي الذي كان بعد صلخ سيليزيا العليا وضمها الى بولندا - يمدّ الرايخ بأربعة أخماس فحمه وفولاده، وبهذا تمّ فصله عن باقي جسم ألمانيا.

هذه الضربة القاصمة على الإقتصاد الألماني وحدت الشعب بصورة مؤقتة وكتلته بشكل لم يحدث له مثيل منذ سنة ١٩١٤ وأعلن عمال الروهر اضراباً عاماً وبذلت لهم حكومة برلين مساعدات مالية ودعت الى خوض معركة مقاومة سلبية، ونظمت حرب عصابات وتخريب بمساعدة الجيش. فقابل الفرنسيون تلك الإجراءات بأوامر الاعتقالات والابعاد وحتى بعقوبات الموت ومع كل ذلك فلم تدر عجلة واحدة في الروهر.

وعجل خنق الإقتصاد الألماني بسقوط المارك النهائي الفاجع. ففي يوم إحتلال الروهر (كانون الثاني ١٩٢٣) هبط فجأة الى ثمانية عشر ألفاً للدولار الواحد. وفي الأول من تموز وصلت قيمة الدولار الواحد الى ١٦٠ ألف مارك، والى مليون في الأول من شباط - وبحلول شهر تشرين الثاني عندما فكر هتلر بأن ساعة العمل قد دقت - كان يلزم أربعمئة مليون مارك لشراء دولار واحد. وبعدها أخذت الارقام ترتفع بألاف الملايين. ولم تعد العملة الألمانية تسوى شيئاً. وهبطت القوة الشرائية للرواتب والاجور الى الصفر وانمحت مدخرات أفراد الطبقة الوسطى والعمالية محوياً. على أن التدمير لحق شيئاً آخر يفوق العملة أهمية، ألا وهو إيمان الشعب ببناء المجتمع الإقتصادي الألماني. وفقدانه الثقة به. فاي صلاح يرجى لأخلاق وقيم مجتمع كهذا، يشجع الادخار والاستثمار ويقطع عهد شرف

بإعادة تلکم المدخرات الى المستثمرين، ثم یحث بکلمة الشرف ویعجز عن الدفع؟ ألیس هذا نصباً وإحتیالاً علی مجموع الشعب؟ والجمهورية الديمقراطية، ألیست هی الملوثة عن الکارثة. ألم تستسلم للعدو وتقبل یتحمل عبء التعویضات؟ ویشاء سوء حظ الجمهورية أن تتحمل فعلاً مسؤولية إستمرار هذا الوضع. فالتضخم النقدي یمکن معالجته وإيقافه بمجرد موازنة الدخل وهو عمل صعب لكنه ممکن. والضرائب السدیة الحکیمة قد تحقق هذه الغایة إلا ان الحكومة الجدیة لم تتجاسر علی جباية ضرائب عادلة. ومهما یمکن من امر فقد كانت تكالیف الحرب البالغة ٠٠٠ ٠٠٠ ١٦٤٠٠٠٠ مارك یدفع بعضها من حصیلة الضرائب المباشرة. إلا ان القسم الأعظم وهو (٠٠٠ ٠٠٠ ٩٣٠٠٠٠) كان بشکل قروض و(٠٠٠ ٠٠٠ ٢٩٠٠٠٠) یدفع من الخزینة نقداً والباقی تتم موازنته بطرح أوراق مالیه جدیة فی التداول. وبدلاً من قیام الحكومة بزیادة الضرائب زیادة کبیرة علی أولئك الذین یتمکنون من دفعها، خفضتها فعلاً فی ١٩٢١! واخذت الحكومة منذ ذلك الحین فصاعداً - بتحریر وإیعاز من الصناعین الکبار واصحاب الإقطاعات الذین وجهوا همهم الی الربح وإن كانت جماهیر الشعب قد دمرت مالياً - تترك المارك یتدحرج الی اسفل عامدةً حتی تتحرر الدولة من دیونها العامة وتتخلص من دفع التعویضات، وتشجع عملیات التخریب ضدّ الفرنسیین فی الروهر Ruhr. أضف الی هذا أن سقوط العملة ساعد الصناعة الألمانية الثقیلة علی التخلص من دیونها وتسدید کل ما وجب علیها تسدیده من تبعات المارك الساقط الذی لا یسوی شیئاً. أما هیئة الأركان العامة للجیش الألماني الذی تنكرت تحت اسم "دائرة الجیش Truppenomt للتخلص من قیود معاهدة الصلح الذی هددت کیانها القانوني فقد ادركت ان سقوط المارك قد محا دیون الحرب وترك ألمانيا حرّة من الناحیه المالیة للتهیؤ لحرب جدیة.

وعلی ایه حال فقد ظلّ سواد الشعب لا یدرك كم كانت فائدة اقطاب رجال الصناعة والجیش والحكومة من سقوط العملة. کل ما كانوا یعلمون هو انک لا تستطیع ان تشتري بکلّ رصیدک المحترم فی المصرف باقة صغیرة من الجزر ونصف اوقیه من البطاطا ویضعة اونسات من السكر ونصف کیلو من الدقیق. وادركوا انهم كأفراد قد أصبحوا مفلسین لا یملکون من حطام الدنیا شیئاً. وذاقوا مرارة الجوع عندما كان بعضهم بنابه یومیاً. وفی وسط شقائهم ویأسهم جعلوا من الجمهورية كبش فداء وصبّوا علی رأسها کُلّ ما وقع علیهم من مآسی. زمن كهذا كان لهتلر هبة سماویة.

-٤-

الثورة في بافاريا

صاح یقول: "تمضي الحكومة قدماً وبکلّ برودٍ وتعمّد فی طبع هذه الأوراق التافهة لأن اجلها سینتهي وتزول إن هی توقفت... لأنها إن اوقفت مکائن الاصدار وهو التمهید الذی لا مفرّ له لتثبیت

المارك، فستتكشف للملأ عملية النصب والإحتيال عارية مجردة... ألا ثقوا ان يؤسنا سيتعاطم ويزداد... وسيبقى النذل الساقط حُرّاً طليقاً... السبب هو أن الدولة نفسها أصبحت أكبر النصابين والمحتالين! دولة لصوص وقطاع طرق! لو استطاعت الجماهير المرتاعة أن تلاحظ أنها تجوع على البلايين من العملة الساقطة فلا بدّ وستصل الى النتيجة الصائبة. اننا لن نطيع بعد الآن دولة بنيت على فكرة النصب والاحتتيال بحق الأغلبية. نحن نريد دكتاتورية^(٨)."

لاشكّ ان العُسر والحيرة اللذين تخمض بهما التضخم النقدي المستمرّ كانا يدفعان الملايين من الألمان الى ذلك الاستنتاج، وهتلر كان مستعداً لقيادتهم وقد بدأ في الواقع يعتقد أن أحوال الفوضى التي سادت عام ١٩٢٣ خلقت فرصة لإزالة الجمهورية قد لا تخطر ببال. إلا أن عقبات معينة كانت تقف في طريقه إن كان مقدراً له أن يقود ثورة الردّة هذه. ولم يكن إهتمامه شديداً إلا لأنه هو القائد.

من أولى العقبات أن الحزب النازي لم يكن أعظم حركة سياسية في بافاريا وان راح ينمو عددياً. أما خارج بافاريا فهو غير معروف. فكيف يمكن لحزب صغير مثله إسقاط الجمهورية؟

خيل لهتلر الذي لم تكن العقبات والمثبطات تثنيه عن عزمه، أنه وجد سبيلاً. ربّما امكنه توحيد العناصر المعادية للجمهورية من القوى القومية في بافاريا، تحت زعامته. ثم تقوم الوحدات المسلحة الحزبية بالتعاون مع الجيش النظامي المرابط في بافاريا وباسناد من الحكومة، بالزحف على برلين كما زحف موسوليني على روما قبل عام - واسقاط جمهورية فايمر. الظاهر ان نجاح موسوليني السهل قد غذى افكاره بطعام دسم.

ومع ان إحتلال الفرنسيين للروهر، جدّد كره الألمان لعدوهم التقليدي وأحيا بهذا الروح القومية، إلا انه عقّد الأمور على هتلر من جهة اخرى. فهذا الإحتلال راح يوحد الشعب الألماني خلف حكومة الجمهورية في برلين، حين اختارت لها سياسة تحديّ فرنسا وهذا آخر ما كان يرغب فيه هتلر. لأن هدفه إزالة الجمهورية. وبعدها يمكنه تسوية الأمور مع فرنسا اثر بلوغ ألمانيا ثورتها القومية وإقامة الدكتاتورية. وبلغت الجراءة بهتلر أن يسلك خطأ لا جماهيريّاً يتعارض والرأي العام السائد. "كلاً لا تهتفوا فلتسقط فرنسا، لكن فليسقط خونة أرض الوطن ليسقط مجرمو تشرين! كذا يجب أن يكون شعارنا^(٩)".

وانصرف بكلّيته طوال الأشهر الأولى من ١٩٢٣ الى ترويج هذا الشعار وترسيخه وتم في شباط بفضل جهود (روهم) ومواهبه التنظيمية ضمّ ثلاث زمر قومية مسلحة في بافاريا الى النازيين لتشكيل ما عرف بـ(إتحاد العمل لوحدات الوطن المحاربة Arbeitsgemeinschaft der Vaterloendischen Kampfbund). تحت قيادة هتلر السياسية. وفي أيلول تمّ تشكيل مجموعة أمضى قوة باسم "عصبة الألمان المحاربين Deutscher Kampfbund" كان هتلر أحد أقطابها. انبثقت هذه المنظمة من إجتماع جماهيريّ ضخم عقد في نورمبرگ في (٢٠) أيلول بمناسبة الاحتفال بذكرى إنتصار الألمان

٨- هايدن: الفوهرر (الزعيم) الص ١٣١-١٣٣.

٩- المرجع السالف ص ١٦٤

على فرنسا في معركة (سيدان). مثل في هذه العصبية كلّ الجماعات ذات العقلية الفاشية في جنوب ألمانيا وقوبل هتلر بالتهليل والتهتاف بعد فراغه من خطبة عنيفة ضدّ الحكومة المركزية. واذيعة أهداف هذه العصبية علناً. ويمكن اجمالها باسقاط الجمهورية والغاء معاهدة فرساي.

في احتفال نورمبرغ هذا وقف هتلر على منصّة التحية الى جانب الجنرال لودندورف أثناء استعراض المجتمعين ولم يتمّ هذا بمحض الصدفة فمنذ زمن طويل والزعيم النازي الشاب يشقّف بطل الحرب الذي وضع اسمه الشهير تحت تصرف منظمي مؤامرة كاپ في برلين وبواصلته تشجيع اليمين على ثورة الردّة حسب هتلر أن استمالته ضرورية لعل بالامكان اسناد جزء من العمل اليه، كان هذا قد بدأ يختمر في ذهن هتلر. ولم يكن للجنرال ذهنية سياسية مدركة، وهو الآن يعيش خارج مونيخ ولا يكتفم إحتقاره للبافارين وللمطالب بالعرش البافاري الأمير (روبرخت) وللكنيسة الكاثوليكية في دولة اشدّ كاثوليكية من أي دولة في ألمانيا. كان هتلر يعرف كل هذا وهو يلائمه ويتفق مع غاياته إذ لم يكن يريد في شخصية (لودندورف) زعيماً سياسياً للقوميين المناهضين للثورة. وهو دور كان يطمح اليه بطل الحرب كما لا يخفى. واصرّ هتلر ان يكون الدور له. لكن اسم (لودندورف) وشهرته في هيئة الأركان ودوائر المحافظين في ألمانيا قد يكون دعماً لسياسي اقليمي غير معروف خارج بافاريا. وعلى هذا الأساس بدأ هتلر يدخل (لودندورف) في خطته.

وفي نهاية العام ١٩٢٣ بلغت العلاقات بين جمهورية ألمانيا ودولة بافاريا الى حدّ التنازم ففي ٢٩ أيلول أعلن المستشار (گوستاف شترزيمان) انتهاء المقاومة السلبية في (الروهر) وإستمرار ألمانيا في دفع التعويضات. ان هذا الناطق السابق بلسان هندنبرگ ولودندورف، واليميني الأمين والملكي في الصميم قد توصل الى نتيجة نهائية وهي لا سبيل الى انقاذ ألمانيا وضمان وحدتها وقوتها -في الوقت الحاضر على الأقل- إلاّ بالإبقاء على النظام الجمهوري. لذلك توصل الى اتفاق مع الحلفاء وحصل على فترة من التأجيل والهدوء لتستعيد به قوتها الإقتصادية. وكلّ إندفاع أكثر من هذا لا يكون مصيره إلاّ الحرب الأهلية وربما القضاء النهائي على الأمة الألمانية.

إن التخلي عن مقاومة الفرنسيين في (الروهر) والعودة الى تحمل عبء التعويضات فجّر بركاناً من السخط والهستيريا بين القوميين الألمان. وراح الشيوعيون الذين بدأوا يستعيدون قوتهم يهاجمون الحكومة هجوماً مريباً وجوبه (شترزيمان) بضجة هائجة من أقصى اليمين الى أقصى اليسار واستعجل بحمل الرئيس (إيبرت) على إعلان حالة الطواريء في اليوم الذي أعلن عن تغيير سياسته في الروهر والتعويضات. ومنذ ٢٦ أيلول ١٩٣٣ حتى شباط ١٩٢٤، وضعت السلطة التنفيذية والاجرائية في ألمانيا بموجب قانون الطواريء في يد وزيرالدفاع أوتو گيسلر Otto Gessler وقائد الجيش الجنرال (فون سيكت) ولكن القانون جعل الجنرال وجيشه دكتاتوري الرايخ المطلقين.

لم تكن بافاريا بالتالي تقبل حلاً كهذا. وأعلنت حكومتها برئاسة يوجين فون نيلنگ -Eugen Von Knilling) حالة الطواريء أيضاً في ٢٦ أيلول. ونصبت اليميني الملكي رئيس الوزراء الأسبق (گوستاف فون كار) حاكماً عسكرياً عاماً مزوداً بصلاحيات دكتاتورية وخيف في برلين ان تعلن بافاريا

انفصالها عن الرايخ وإعادة الملكية بشخص أسرة (فيتلسباخ) أو ربما تشكيل إتحاد ألماني جنوبي مع النمسا. فعقدت الحكومة اجتماعاً عاجلاً بحضور الرئيس (إيبرت) واستدعي الجنرال (فون سيكت) الى الاجتماع. وطلب إيبرت أن يعرف اين يقف الجيش؟ فأجابته (سيكت) بكل صفاقة "أيها السيد الرئيس، ان الجيش يقف خلفي"^(١٠)، هذه الكلمات القاسية التي نطق بها القائد العام البروسي ذو المونوكل والوجه المربع لم ترعب المستشار الألماني ولم تفزعها كما كان متوقعاً فقد سبق للجميع واعترفوا بمركز الجيش الواقعي "انه دولة داخل دولة" لا يخضع إلا لنفسه ورأينا موقفه من قبل عندما احتلت قوات (كاف) برلين قبل ثلاث سنوات وتوجهت الحكومة الى (سيكت) بضاعتها هذه. وجدنا كيف أن الجيش لم يقف خلف الجمهورية وإنما وقف خلف الجنرال. والمسألة الآن (في ١٩٢٣) هي اين يقف (سيكت)؟

ولحسن حظ الجمهورية اختار الوقوف الى جانبها لا لأنه يؤمن بالمباديء الجمهورية والديمقراطية بل لأنه وجد في تلك اللحظة بالذات ان اسناد النظام القائم هو ضروري للحفاظ على كيان الجيش المهدهد هو نفسه بالثورة اليمينية في بافاريا وفي شمال ألمانيا. ولانقاذ الشعب الألماني من حرب اهلية طاحنة. ادرك (سيكت) ان عدداً من الضباط في جيش مونينغ قد انحازوا الى الانفصاليين البافاريين. وأخطر بمؤامرة يحبكها (جيش الرايخ الأسود) بقيادة الميجر بوخروكر Buchrucker وهو ضابط ركن سابق في القيادة العامة. لإحتلال برلين وطرد حكومة الجمهورية. فراح الجنرال يتحرك بهدوء بارد دقيق وعزم ثابت لدعم حق الجيش وانهاء التهديد بالحرب الأهلية.

وفي ليلة ٣٠ أيلول سنة ١٩٢٣ احتلت وحدات من جيش الرايخ الأسود بقيادة (بوخروكر) ثلاث قلاع في شرقي برلين. فأمر (سيكت) القوات النظامية بتطويقها. وبعد يومين استسلم (بوخروكر) وحوكم بتهمة الخيانة العظمى. وحكم بعشر سنوات اعتقال ثكنة. ان جيش الرايخ الأسود الذي ألفه (سيكت) نفسه بالإسم التنكري [العمال الفدائيون Arbeitskommandos] ليكون مستودعاً سرياً واحتياطياً يستمد منه الجيش الألماني ذو المائة ألف مقاتل، قام هو نفسه بحله^(١١).

ثم وجه (سيكت) إهتمامه الى الثورة الشيوعية في (سكسونيا) و(ثورنجيا Thuringia) وهامبورگ والروهر. إن ولاء الجيش في قمع اليسار شيء مضمون. ففي سكسونيا قبض قائد الموقع العسكري

١٠- اللفتنتن جنرال فريدريك فون رابناو F. Von Rabenau كتابه "سيرة حياة سيكت: Seeckt, aus seinem Leben ج٢ ص٣٤٢.

١١- كان هذا (الجيش الأسود) الذي يبلغ تعدادة عشرين ألفاً تقريباً، يرابط في الجبهة الشرقية ليساعد في حراستها أمام البولنديين في الأيام المحافلة بالاضطراب ١٩٢٠-١٩٢٣. هذه المنظمة اللاقانونية أصبحت سيئة السمعة لحياتها أعمال التعذيب والفظائع الوسيطة التي كانت ترتكبها المحاكم السرية المعروفة في القرون الوسطى باسم فيمرگرختة Femergerichte - فكانت توقع عقوبة الاعدام الفوري على الألمان الذين يكشفون عن نشاط (الجيش الأسود) لهيئة المراقبة الحليفة. ووصل عدد من هذه القتل الوحشية الى سوح المحاكم. وفي احدى المحاكمات انكر وزير الدفاع الألماني (أوتو كيسلر) الذي خلف (نوسكه) أي علم له بهذه المنظمة. واصر على انها غير موجودة أصلاً. لكن عندما احتج أحد المستنطقين على هذه (البراءة) وعدم المعرفة صاح كيسلر: "من يتكلم عن الجيش الأسود يرتكب عملاً من أعمال الخيانة العظمى!"

التابع لجيش الرايخ على أعضاء الحكومة الشيوعية-الإشتراكية. ونصب مفوض أعلى من الرايخ لتولي الحكم. وفي هامبورگ وغيرها من الأقاليم تم خضد شوكة الشيوعيين بسرعة وقسوة متناهية. ويدا لبرلين أن قمعاً سهلاً للشيوعيين كهذا لا يبدُ سيجرد متآمري باقاريا من حجتهم في انهم يعملون لانقاذ الجمهورية من الشيوعيين! فهم سيعترفون الآن بسلطة الحكومة المركزية. إلا أن الأمور لم تجر كما حسبوا.

فقد ظلت باقاريا تتحدى برلين وهي الآن تدار بحكم دكتاتوريّ ثلاثي يتألف من (كاهر) مفوض الدولة. والجنرال أوتو فون لوسوف Otto Von Lossow قائد جيش الرايخ في باقاريا. والكولونيل هانس فون سايسر Hans Von Seisser مدير الشرطة العام. ورفض (كاهر) تطبيق إعلان حالة الطواريء في باقاريا، وأبى اطاعة أي أمر صادر من برلين ولما طلبت الحكومة المركزية ايقاف جريدة هتلر عن الصدور بسبب هجومها العنيف على الجمهورية عموماً وعلى (سيكت) و(شتريزمان) و(كيسلر) بنوع خاص. رفض (كاهر) تنفيذ الأمر باستهانة واستخفاف. وتجاهل ايضاً أمراً ثانياً من برلين يقضي بإلقاء القبض على ثلاثة زعماء لعصابات مسلحة في باقاريا سيئي السمعة وهم الكابتن هايس Heiss والكابتن إيرهارد (بطل) إنقلاب كاپ. والملازم روسباخ Rossbach (صديق روهم). ونفذ صبر الجنرال (سيكت) فأمر الجنرال فون لوسوف بايقاف جريدة النازيين عن الصدور واعتقال الضباط الثلاثة المذكورين. وكان (لوسوف) باقارياً ضعيف الإرادة موزع الفكر أثرت فيه فصاحة هتلر ووسائل اقناع (كاهر) فتردد في تنفيذ أوامر رئيسه الذي اصدر في ٢٤ تشرين أمراً بعزله من القيادة ونصب الجنرال كريس فون كريسنشتاين Kress Von Kressenstein في محلّه. ولم يكن (كاهر) بمن يقبل بهذا الضابط القادم من برلين وأعلن أن (لوسوف) سيبقى على رأس جيش الرايخ في باقاريا وبهذا لم يتحد (سيكت) وحده، بل الدستور نفسه حين أجبر ضباط الجيش وجنوده على حلف يمين الولاء للحكومة الباقارية. ووجدت برلين في ذلك تمرداً عسكرياً أكثر منه عصياناً سياسياً. وعزم الجنرال فون سيكت على قمع الإثنين بضربة واحدة^(١٢).

واصدر امراً انذارياً للثلاثي الباقاري وهتلر والعصابات المسلحة. جاء فيه: "ان كل ثورة يقومون بها ستقمع بالقوة" ولم يعد للزعيم النازي مجال للتراجع بعد إندفاعه. وكان أتباعه المسعورون يطالبون بالعمل السريع والحّ عليه الملازم بروكتر Bruckner وهو من قواد جنود العاصفة أن يقوم بتوجيه ضربته حالا وانذرته بقوله: سيأتي يوم قريب لا أستطيع فيه كبح جماح رجالي. وان لم تتحرك فسوف يتركونا".

وادرك هتلر ايضاً أن (شتريزمان) لو كسب وقتاً وبدأت طلّاتع جهوده الناجحة في إعادة الاستقرار والهدوء فإن فرصته ستضيع منه. وراح يتوسل (بكاهر) و(لوسوف) ليزحفا على برلين قبل ان تزحف برلين على مونيخ. وبلغ به الشك في موقفهما مبلغاً عظيماً: إما أن الثلاثي قد اقعده الجبن وشاع فيه الخوف. وإما انه يخطط إنقلاباً انفصالياً لا يكون فيه شريكاً، الهدف منه فصل باقاريا عن الرايخ.

وهذه الأخيرة أكثر مما يطبق هتلر احتمالاً نظراً إلى آرائه المتعصبة بخصوص رايبخ موحدٍ قومي قويّ. شاع التردد في (كاهر) و(لوسوف) و(سايسر) بعد ان تلقوا انذار (سيكت) ولم يكونوا مهتمين بحركة ظاهرة العقم كقبيلة بالقضاء المبرم عليهم. ولهذا قاموا في ٦ تشرين الثاني بإبلاغ (عصبة الألمان المحاربين) التي كان هتلر يتزعمها سياسياً بالألأ يقدموا على عمل طائش وان الثلاثي هو الذي سيقدر بمفرده متى يعملون وكيف. وكان هذا إشارة لهتلر للمبادرة بالقبض على زمام الأمور بيده. فهو بمفرده لا يملك اسناداً للقيام بإنقلاب ما يلزمه في الحقيقة مساندة الدولة البافارية وجيشها وشرطتها وهو ذلك الدرس الذي تعلمه أيام تشرده في فيينا. عليه استنباط وسيلة تمكنه من وضع (كاهر) ولوسوف وسايسر) في موضع العمل معه بحيث لا يستطيعون النكوص الى الورا. الجرأة وحتى التهور هما أسلوبيه الوحيد وقد اثبت بالدليل انه لا يفتقر اليهما الآن. لذلك قرر خطف هذا (الثلاثي) واجباره على استخدام سلطاته الاجرائية لتنفيذ غايته. اقترح عليه الفكرة مبدئياً اللاجئان الروسيان (روزنبرگ وشوينر-ريختر) وهذا الأخير جعل نفسه في مصاف النبلاء عن طريق اسم زوجته فاطلق على نفسه "ماكس ايرفن فون شوينر-ريختر Max Erwin Von Scheubner-Richter وكان شخصية غامضة مثل روزنبرگ قضى معظم حياته في اقاليم روسيا بالبلطيق وبعد الحرب غادر الإتحاد السوفياتي مع غيره من اللاجئيين واستقر في مونيخ وانضم الى الحزب النازي وأصبح من أقرب مقربي هتلر.

كان يوم ذكرى ٤ تشرين Totengedenktag وهو يوم ألمانيا الوطني. سيُحيا باستعراض عسكري في قلب مونيخ وأعلن في الصحف أن الامير الملكي روبرخت سيكون على منصة التحية مع (كاهر) ولوسوف وسايسر) وإن هذه المنصة ستقام في شارع ضيق يؤدي الى فيلدهرنهاله Feldherrnhalle واقترح (شوينر-ريختر) و(روزنبرگ) على هتلر أن يؤتى ببضع مئات من جنود العاصفة في لوريات المنصة ويعلن الثورة ويطلب تحت التهديد بالمسدس - من رجال السلطة الكبار الانضمام اليه ومساعدته على قيادتها. وهفت نفسه الى هذه الخطة ووافق عليها متحمساً. لكن روزنبرگ لخبثته وجد أن الطريق الضيق محمي من الفتحتين حماية دقيقة بوحدات كبيرة من الشرطة الشاكية السلاح عندما وصل قبل الوقت بزمانٍ للتثبت من صلاح الخطة. فكان من المحتم أن يصرف النظر عن المؤامرة... والأصوب عن الثورة.

الواقع انها تأجلت ليس إلا. ورسمت خطة أخرى لا يعرقلها وجود وحدة من الشرطة تحتل موضعاً سوقياً. وتقضي أن يحشد في ليلة ١٠-١١ تشرين الثاني جنود العاصفة وغيرهم من العصابات المسلحة مثل (عصبة المحاربين الألمان) في مروج (فرويتشماننجر Froettzmaninger) في ضواحي مونيخ الشمالية. وفي صبيحة الحادي عشر الموافق ذكرى الهدنة المشؤومة المخجلة تزحف هذه القوة على المدينة وتحتل النقاط السوقية وتعلن الثورة القومية متحدية بالأمر الواقع (كاهر) ولوسوف وسايسر) المترددين.

وعند هذه النقطة أوقف هتلر خطته. ألجأه الى ذلك إعلان في الصحف ظاهره غير مهم فقد جاء فيه أن (كاهر) سيقوم بتوجيه كلمة بناءً على رجاء بعض البيوت التجارية والمؤسسات الصناعية في مونيخ - في إجتماع بقاعة بيرة كبيرة في ظاهر المدينة الجنوبي الشرقي اسمها Buergerbraukeller وكان موعد الإجتماع في مساء ٨ تشرين الثاني وموضوع الخطاب كما ذكر في الإعلان "منهاج الحكومة البافارية" وجاء أيضاً أن الجنرال فون لوسوف والكولونيل فون سايسر وبعض كبار القوم سيكونون من الحاضرين.

هناك إعتباران حملاً هتلر على قراره المتهور. الأول انه كان يشك في ان (كاهر) يريد ان يستخدم الإجتماع لإعلان انفصال (بافاريا) وإعادة أسرة (فيتلسباخ) الى عرش بافاريا. وحاول هتلر طول يوم ٨ تشرين مقابلته (كاهر) عيثاً. فقد أرجأ الموعد الى التاسع منه وهذا مما زاد من شك الزعيم النازي، وحيداً له ضرورة سبقه بالعمل. اما الإعتبار الثاني فالإجتماع المضروب سيعطي له الفرصة التي ضاعت في ٤ تشرين، فرصة القبض على (الثلاثي) واجبارهم تحت التهديد بالمسدس على الانضمام الى النازيين لتحقيق ثورة الردة. ولهذا قرر العمل حالا. وألغيت خطة تعبئة العاشر من تشرين الثاني، واستعيب عنها باستنفار جنود العاصفة استنفاراً عاجلاً وتحشيدهم في قاعة البيرة الكبيرة.

-٥-

مؤامرة قاعة البيرة

في حوالي التاسعة إلا ربعاً من مساء الثامن من تشرين الثاني ١٩٢٣، وبعد أن تكلم (كاهر) قرابة نصف ساعة أمام جمهرة من رجال الصناعة العطاش يناهز عددهم ثلاثة آلاف وقد جلسوا الى مناخذ خشبية خشنة الصنع يجرعون بيرتهم من اقداح حجرية على الطريقة البافارية، احاط جنود العاصفة بالقاعة واندفع هتلر الى الداخل بينما راح فريق من أعوانه يركزون مدفعاً رشاشاً أمام المدخل الرئيس وقفز هتلر وإعتلى إحدى المناضد واطلق رصاصة من مسدسه نحو السقف لجلب الانتباه اليه. فتوقف (كاهر) عن الكلام وإلتفت المجتمعون ليتشبهتوا من أسباب الاضطراب. فخف هتلر مع مساعديه (هيس) و(اولريخ كراف) القصاب السابق والمصارع الهاوي رجل العصابات وحارس الزعيم الشخصي الى المنصة، وحاول ضابط شرطة برتبة (ميجر) التصدي لهم لكن هتلر سدد اليه مسدسه وواصل سيره. اما (كاهر) فقد بدا -على حد ما وصفه شاهد عيان- شاحب الوجه مضطرباً. وانسحب من المنبر ليأخذ هتلر محله، صاح هتلر بأعلى صوته "لقد بدأت الثورة القومية. وهذه البناية يحتلها الآن ستمائة رجل مسلحون تسليحاً تاماً. وليس لأحد منكم مغادرة القاعة. وان لم تتركوا الى الهدوء حالا فسأنصب مدفعاً رشاشاً فوق المنصة. إن حكومتي بافاريا والرايخ قد نحيتا عن الحكم. وقامت حكومة قومية مؤقتة. لقد تم إحتلال ثكنات جيش الرايخ. وان الشرطة والجيش يزحفان على المد تحت علم الصليب المعقوف".

ان الفقرة الأخيرة كانت أكذوبة، خدعة لا غير، لكن من يستطيع التأكد في وسط هذه الفوضى؟ هناك مسدس. وهو شيء حقيقي منظور. وهنا جنود العاصفة ببندياتهم ومدافعهم الرشاشة وهو أيضاً شيء حقيقي ملموس. الآن أمر هتلر كلاً من (كاهر ولوسوف وسايسر) أن يتبعوه الى غرفة صغيرة ملحقة بالمسرح. فامتثل أكبر ثلاثة موظفين في بافاريا لأمره تحت تهديد جنود العاصفة. اما الجمهور فكان يرقب ما يجري بذهول تام.

على ان غضبهم كان يزداد مقروناً بالدهشة. فكثير من رجال الصناعة مازال يجد هتلر سياسياً مستجداً. وصاح احدهم بالشرطة "لا تكونوا جبناء مثلما أثبتتم في ١٩١٨، أطلقوا النار!" لكن الشرطة لم تتحرك من مكانها وهي ترى رؤوس الحكومة تسير ذليلة طيعة وجنود العاصفة يسيطرون على القاعة. كان هتلر قد اتفق مع جاسوس نازي في الشرطة هو فلهم فريك Wilhelm Frick أن يتلفن الى شرطة القاعة مشيراً بعدم التدخل والاكتفاء بمجرد تقرير. واشتد الغضب بالمدعوين وزادت أصوات الاحتجاج والإستنكار وتعالت الضجة حتى اضطر (گورنگ) الى اعتلاء المنصة لتهدئة روعهم بقوله: "ليس ثم ما يخشى منه، فنيأتنا طيبة جداً. وعليه فلا داعي للسخط، وها هي (جعتكم) أمامكم!" ثم اعلمهم ان حكومة جديدة يتم تأليفها الآن في الغرفة المجاورة.

تلك هي الحقيقة ويفضل مسدس هتلر المصوب. اذ ما ان استاق أسراه الى الغرفة الخلفية حتى بادرهم بقوله: "لن يخرج أحد من هذه الغرفة حياً دون ارادتي." وقال انهم سيتولون مناصب رئيسة إما في حكومة بافاريا أو حكومة الرايخ التي يقوم بتشكيلها الآن مع (لودندورف). مع لودندورف؟ في أولى ساعات العصر كان هتلر قد أرسل (شوينر-ريختر) الى لودفيكشويهه Ludwigshoehe للاتصال بالجنرال الشهير الذي كان أجهل الناس بمؤامرة النازي. وليطلب منه المجيء الى قاعة البيرة حالا.

رفض الأسرى الثلاثة حتى الكلام مع هتلر بادىء ذي بدء واستمر يخطب فيهم، الواجب يحتم على كل منهم أن ينضم اليه في إعلان الثورة وتأييف الحكومتين الجديدتين. وعلى كل واحد منهم ان يقبل المنصب الذي اسنده اليه هتلر وإلا "فلا حق له في الحياة". وعلى (كاهر) ان يقبل الوصاية على (بافاريا) وعلى (لوسوف) ان يرضى، بمنصب وزير الجيش القومي وأن يقبل (سايسر) بمنصب وزير شرطة الرايخ- لكن لم يكتثر أحد بعروض هذه المناصب الرفيعة ولم يرد أحد بكلمة وفت سكوتهم المطبق في عضد هتلر وهدأ اعصابه فصوب مسدسه اليهم وقال: "لدي هنا في مسدسي أربع اطلاقات ثلاثة منها للمتعاونين معي ان هم تركوني والرابعة لي!" ثم صوب فوهة المسدس الى جبهته وصاح: "إن لم أكن من الظافرين غداً بعد الظهر فسأقتل نفسي!"

لم يكن (كاهر) يمتاز بسرعة الخاطر أو حدة الذكاء إلا أنه شجاع جميع القلب. فانثنى يقول لهتلر: "هر هتلر! يمكنك اطلاق الرصاص عليّ أو على نفسك فلا يهمني إن متُّ.

وعقبه (سايسر) وطفق يلوم هتلر لأنه حنث بكلمة الشرف التي قطعها على نفسه بالأى يقوم بمحاولة إنقلابية ضد الشرطة فأجابه "نعم، اني قطعت عهداً فعفواً. إلا اني اضطررت الى ذلك بدافع وطني". ولازم الجنرال (لوسوف) الصمت المطبق استخفافاً بالوضع واحتقاراً. لكن ما ان طفق (كاهر) يهمس



مارشال الرايخ غورنك

في اذنه شيئاً حتى صرخ هتلر "قف! لا كلام إلاً
بأذني!" لم يصل بكلامه الى نتيجة ولم يوافق واحد
من الثلاثي القبايض على مقاليد الحكم في دولة
بافاريا على التعاون معه حتى بتهديد المسدس، وبدا
الإنقلاب لايسير وفق الخطة المرسومة ثم اندفع هتلر
الى القاعة كأنه يطيع حافزاً مفاجئاً وصعد المنصة
مواجهاً الحاضرين معلناً أن أعضاء الحكومة الثلاثي
في الغرفة المجاورة قد انضموا اليه لتشكيل حكومة
قومية جديدة. وصرخ "ان الوزارة البافارية قد نُحيت...
وأعلن إسقاط حكومة مجرمي تشرين وعزل رئيس
جمهورية الرايخ. وستعلن اسماء أعضاء حكومة
قومية جديدة في مونخ قبل نهاية اليوم. سيشكل
جيش ألماني قومي فوراً... وأنا اقترح تصفية الحساب
النهائي مع مجرمي تشرين وان تكون الإدارة
السياسية في الحكومة القومية بيدي وسيتولى
(لودندورف) قيادة الجيش القومي الألماني... ان مهمة

الحكومة الألمانية المؤقتة ذات الطابع القومي هي أن تنظم زحفاً عسكرياً على (بابل الأثمة) برلين
لانقاذ الشعب الألماني. سيشهد يوم الغد أحد أمرين: إما حكومة قومية لألمانيا. وإما نكون نحن في
عداد الموتى!"

لم تكن هذه المرة الأولى والأخيرة التي يقذف فيها هتلر بأكذوبة محكمة. والحق يقال انها احدثت
أثرها المرجو. اذ ما ان سمع الحاضرون أن (كاهر ولوسوف وسايسر) قد انضموا الى هتلر حتى تغيرت
مشاعرهم وبدأوا يطلقون الهتافات العالية، مما أحدث أثراً في الرجال الثلاثة المعتقلين في الغرفة.
وتقدم (شوينبرن-ريختر) كما يتقدم (الحاوي) مخرجاً من قبعته الجنرال (لودندورف). كان بطل
الحرب في اشد حالات الغيظ من هتلر بسبب هذه المفاجأة التي دبرها دون علم منه. ويدخله الغرفة
الصغيرة وعلمه أن نائب العريف السابق سيكون دكتاتور ألمانيا لا هو، زاد غيظه اضعافاً مضاعفة
ولم يوجه حرفاً واحداً الى الشاب المعجب بنفسه إلا أن هتلر لم يكتثر بعد ان قبل (لودندورف) وضع
اسمه في هذا المشروع اليائس ونجح شخصياً في اقناع زعماء بافاريا الحانقين إثر فشله في ذلك رغم
تهديده ونصحه... وبدأ لودندورف يتجاوب بالقضية هي الآن القضية الوطنية الكبرى كما قال وهو
ينصح السادة الأجلء بالتعاون. وبإهتمام الجنرال الأكبر بالموضوع خُيل ان الثلاثي قد لان جانبه
واستسلم. وإن انكر (لوسوف) فيما بعد موافقته على وضع نفسه تحت تصرف (لودندورف). وظلّ
(كاهر) يثرثر بضع دقائق حول إعادة (قتلسباخ) وهي امنيته العزيزة جداً. وأخيراً صرح بأنه سيتعاون

بوصفه (نائباً للملك).

إن مَقدم (لودندورف) المؤقت توقيتاً أنقذ هتلر. فاستبد به الفرح لإقبال الحظّ عليه واقتاد الثلاثة الى المنصّة ليلقي كل واحد منهم كلمة، وليقسم بعضهم لبعض على الإخلاص والولاء للعهد الجديد ونطّ الحاضرون فوق الكراسي والمناضد وقد اصابتهم لوثة من الجنون وترنحت اعطاف هتلر طرباً وقال مؤرخ شهير كان حاضراً الواقعة. "ارتسم تعبير واضح من السعادة على وجهه هو اشبهه بسعادة الأطفال لا أنساه قط"^(١٣).

وعاد مرة أخرى الى المنبر ونطق بآخر كلماته أمام المجتمعين: "اني اريد الآن تحقيق النذر الذي قطعتة على نفسي قبل خمس سنوات عندما كنت أعمى مقعداً في المستشفى العسكري: وهو أن لا اعرف راحة أو هدوء بال حتى ازاحة مجرمي تشرين لتقوم على أنقاض ألمانيا اليوم المتقوضة، ألمانيا قوية عظيمة حرّة ساطعة مرة ثانية".

وبدأ عقد الحضور ينفرط. وشرع (هيس) بمعاونة جنود العاصفة يوقف عدداً من أعضاء الوزارة البافارية وآخرين من الاعيان الذين حاولوا التسلسل من بين الجمع الحاشد. ولم يدع هتلر (كاهر ولوسوف وسايسر) يغيبون عن أبصاره. ثم وردت اخبار عن وقوع مصادمة بين جنود العاصفة. بمساندة من عصابة المحاربين لألمان وبين الجيش النظامي في ثكنات سلاح الهندسة فقرر هتلر أن يذهب بنفسه الى الموقع ليحسم الأمر تاركاً حانة البيرة في يد (لودندورف).

فكانت الغلطة القاضية. إذ تسلسل (لوسوف) مع أول نفر الى الخارج متعللاً بقوله للودندورف: أن ذهابه الى مقرّ الجيش لا بد منه لاصدار الأوامر الضرورية. ولما اعترض (شوينر-ريختر) على ذلك قاطعه (لودندورف) بحدة: "اني أمنعك من الشك في كلام ضابط ألماني" وغاب (كاهر) و(سايسر) عن القاعة ايضاً.

عاد هتلر والدنيا لاتسعه فرحاً الى قاعة البيرة ليجد العصافير قد طارت من الففص وكانت أول ضربة ترنح لها في تلك الامسية، اذ كان واثقاً بأنه سيجد (وزراء) مكين على مهماتهم الجديدة، في حين ينهكم لودندورف ولوسوف في وضع خطط الزحف على برلين لكنه لم ير شيئاً من هذا. حتى مونيخ نفسها، فان قوات الثورة لم تكمل إحتلالها. قام (روهم) على رأس وحدة من جنود العاصفة تنتمي الى عصابة مقاتلة أخرى تعرف باسم رايشكريكفلاكه Reichskriegsflagge بإحتلال مقرّ إدارة الجيش في وزارة الحرب بشارع شونفيلد Schoenfeldstrasse على انه لم يتم إحتلال اية مراكز استراتيجية أخرى حتى ولا دائرة البرق التي خرج من أسلاكها نبأ الإنقلاب ليبلغ برلين. ووردت أوامر من الجنرال فون سيكت الى جيش بافاريا بوجود قمع العصيان مع حصول ردود فعل بين صغار الضباط في بعض الوحدات التي كانت تعطف على هتلر وروهم، إلا أن كبار الضباط بقيادة الجنرال (فون دانه المرير للمعاملة التي لقيها الجنرال فون لوسوف. ففي قانون الجيش الألماني أن المدني الذي يصوب

١٣- كارل الكساندر فون موللر. اقتباس هايدن في "الزعيم" ص ١٩٠.

مسدساً الى جنرال يستحق الصفع بيد ضابط. وخرجت الأوامر من مقر ثكنات كتيبة المشاة التاسعة عشرة الى سائر الحاميات في الضواحي لاستقدام نحدات عسكرية الى المدينة، على أثر إجتماع الجنرالين (لوسوف ودانر).

وبانيلاج الفجر كانت وحدات الجيش النظامي قد اكملت تطويق قوات (روهيم) في وزارة الحرب. وكان لودندورف وهتلر قد التحقا به (روهيم) قبل ذلك بفترة لاستطلاع الموقف. وصدّم (روهيم) عندما تبين له انه الوحيد الذي قام بعمل عسكري واحتل نقطة حيوية. وحاول هتلر جاهداً الاتصال (بالثلاثي) وأرسلت بعوث الى ثكنات كتيبة المشاة التاسعة عشرة باسم (لودندورف) إلا أنهم لم يعودوا وأرسل (پوينر Poehner) مدير شرطة مدينة مونيخ السابق واحد أشياع هتلر مع الرائد (هوهنلاين Huehenlein) وجماعة من جنود العاصفة لإحتلال مقر الشرطة العام فاعتقلوا هناك فوراً. وماذا عن گوستاف فون كاهر رئيس الحكومة البافارية؟ بعد مغادرته قاعة البيرة ثاب اليه رشده بسرعة، ولم اطراف شجاعته. ولكرّهه أن يكون تحت خطر الوقوع اسيراً بيد هتلر وصحبه الغلاظ، نقل حكومته الى ريگنزبرغ Regensburg. ولم ينسَ قبل مغادرته المدينة أن يأمر بلسق إعلانات كبيرة في كل انحاء مونيخ فيها البيان التالي:

بيان

إن خداع وغرور بعض الرفاق الطموحين. حوّل تظاهرةً اقيمت لمصلحة الانعاش القومي الى مشهد من مشاهد العنف التي تشمئز منها النفس. إن التصريح الذي انتزع مني ومن الجنرال لوسوف والعقيد سايسر بتهديد المسدس انما هو باطل لا قيمة له. اني أمر بهذا، بحلّ الحزب القومي الإشتراكي للعمال الألمان وبحلّ عصبتي اوبر لاند Oberland ورايخشكريكزفلاكه المحاربتين.

توقيع فون كاهر مفوض الدولة السامي

إن الفوز الذي بدا لهتلر سهل المنال في أولى ساعات المساء. صار يبدو له بعيداً بقدم الليل. واخذ يرقب القواعد الأساسية التي اختطها لإنجاح الثورة السياسية وتشدد في تطبيقها (مساندة المؤسسات القائمة كالجيش والشرطة وزمرة الحاكمين) وهي تتهاوى وتتحطم أمام عينيه كما تجلى واضحاً أن اسم (لودندورف) السحري لم يحدث أي أثر في موقف القوات المسلحة واقترح هتلر انقاذ الموقف بانسحابه هو والجنرال الى الريف قرب روزنهايم Rosenheim لتنظيم صفوف الفلاحين لتكون ظهيراً للعصابات المسلحة ثم الهجوم بها على مونيخ، إلا أن (لودندورف) رفض الفكرة في الحال. أو لعلّ هناك وسيلة أخرى لاجتناب الكارثة على الأقل؟ ما أن سمع الأمير الملكي بالمؤامرة - وكان عدواً شخصياً لدوداً للودندورف - حتى اصدر تصريحاً مقتضباً دعا فيه الى قمعها حالاً. إلا ان هتلر قرر توجيه نداء الى الأمير بالتدخل واقناع (لوسوف) و(كاهر) بتسوية سلمية شريفة وحمل الرسالة

الملازم نيونزرت Neunzert وهو صديق لكل من هتلر والأمير وكلف بالذهاب فجراً الى قلعة (فيتلسباخ) قرب (برخستغادن) لقضاء المهمة الخطيرة لكنه اضطر الى انتظار القطار لأنه لم يحصل على سيارة فلم يبلغ هدفه إلا ظهراً بعد أن طراً تحول في مجرى الأمور لم يكن في حساب هتلر. ولم يحلم به لودندورف. كان هتلر قد وضع خطة مؤامرة، لا خطة حرب اهلية ومع حالة الهياج المحموم التي ركبتة فقد كان في اعصابه بقية كافية للسيطرة على نفسه الجامحة وليدرك ان القوة تعوزه للتغلب على الشرطة والجيش. اراد احداث ثورة بالقوات المسلحة لا ضدها. ومهما أظهر في خطبه الأخيرة من شهوة الى سفك الدماء فانه أحجم، حتى في الساعات التي كان يصوب مسدسه الى الثلاثي البافاري. عن فكرة اقتتال الرجال الذين اتحدوا في كرههم الجمهورية وسفك بعضهم دماء بعض.

وكذلك كانت فكرة لودندورف. انه ليسعده وضع الحبل في عنق الرئيس (إيرت) وشركائه والاستمتاع برؤيتهم يتأرجحون في الهواء كما كتب لزوجته. لكنه ما رغب قط في قتل الشرطة والجنود الذين يؤمنون كما يؤمن -على الاقل في مونيخ- بثورة ردة قومية الطابع.

واقترح لودندورف على الزعيم النازي الشاب المتردد خطته التي قد تنيلهما النصر دون اراقة دماء. إن الجنود الألمان والشرطة -معظمهم جنود سابقون- لايتجاسرون على اطلاق رصاصهم على صدر القائد الأسطوري الذي قادهم الى إنتصارات عظيمة في الجبهتين الشرقية والغربية. وهو واثق من ذلك تمام الثقة وليس عليه إلا أن يزحف هو وهتلر وأعوانهما الى مركز المدينة. ليستوليا عليها ولن تجرأ الشرطة أو الجيش على اعتراض سبيله بل سينضمون اليه ويحاربون تحت لوائه. فوافق هتلر بشيء من التردد بعد ان وجد الأبواب الاخرى موصدة في وجهه وعقب يقول أن الأمير الملكي لم يجب حتى الآن على طلب الوساطة. وفي حدود الساعة الحادية عشرة من صبيحة 9 تشرين الموافق ذكرى إعلان الجمهورية الألمانية قاد (لودندورف وهتلر) قوة من جنود العاصفة تبلغ ثلاثة آلاف من حدائق مشرب البيرة العتيدي، وبها زحفا على قلب مونيخ وكان الى جانبيهما المقدم (گورنك) قائد ال(إس-أي) وشويبنر-ريختر وروزنبرگ. واولريخ كراف حارس هتلر الشخصي ونصف دستة من اقطاب النازيين وزعماء "عصبة الكفاح". ورفع علم الصليب المعقوف على رأس الرتل الى جانب بيرق عصبة (البوند اوبرلاند) وعلى مسافة قصيرة من الصف الأمامي كان ثم لوري يعقب المسيرة مزوداً بعدد من المدافع الرشاشة مع رجالها؛ أما جنود العاصفة فكانوا يحملون بندقياتهم معلقة على اكتافهم وبعضهم عمد الى تركيب حرايه. وكان بيد هتلر مسدس. إن القوة لم تكن كبيرة إلا أن لودندورف الذي قاد الملايين من خيرة الجنود الألمان كان يجدها كافية لانجاح خطته. وجوبه الثوار بالعائق الأول بعد سيرهم بضع مئات من الياردات شمال مشرب البيرة متمثلاً بجسر (لودفيك) على نهر (الإيسر Isar) المؤدي الى قلب المدينة. كانت تحرسه ثلة من الشرطة وقد سدت الطريق اليه فخرج (گورنك) الى الأمام وخاطب أمرهم مهدداً باعدام عدد من الرهائن زعم أنهم قد وضعوا في مؤخرة الرتل، إن اطلق شرطته الرصاص على رجاله. في ساعات الليلة السابقة كان (هيس) وأعوانه قد اعتقلوا عدداً من الرهائن

منهم وزيران احتياطاً للطواريء ليس إلا. وسواء أقصد (گورنگ) الخداع أو قال الحقيقة فالظاهر أن ضابط الشرطة صدقه وترك الرتل يعبر الجسر دون تعرض.

وفي "مارينپلاتز Marienplatz التقى الرتل النازي الزاحف بجمع غفير من الناس ينصتون الى خطبة حماسية يلقيها (يوليوس شترايخر) عدو اليهود الذي خف من (نورمبرگ) مسرعاً الى مونيخ عند سماعه بأول انباء الإنقلاب فكره أن يبقى بعيداً عن الثورة وقطع خطبته والتحق بالركب قافزاً الى موضع يبعد عن هتلر بخطوة واحدة. وقبل الظهيرة بقليل اقترب الرتل الزاحف من هدفه المنشود وزارة الحرب حيث كان (روهلم) وأعوانه من جنود العاصفة قد طوقتهم قطعات جيش الرايخ لكن لم يصدر لا من المحصورين ولا زمر من المحاصرين طلقة نارية واحدة. كان (روهلم) ورجاله من المحاربين القدماء ولديهم رفاق سلاح كثيرون في الجهة المقابلة من وراء الاسلاك الشائكة. ولم يوجد لدى الطرفين أية رغبة في القتل.

وفي سبيل الوصول الى وزارة الحرب وتحرير (روهلم) قاد لودندورف وهتلر رتلهم في شارع (ريزدنسز Residenzstrasse) الضيق الذي يقع خلف (فيلدهرنهاله) مباشرة. والمفضي الى ميدان اديون پلاتز Odeonsplatz الواسع وعلى رأس الشارع الشبيه بـgully كانت وحدة من الشرطة يناهز عددها المائة مسلحة بالبندقيات ترابط فيه وتسد الطريق، في نقطة استراتيجية لاتسمح للمتقدمين بمجال وحاول النازيون المرور بتأثير الكلام المقنع كما فعلوا عند العائق الأول فبرز الحارس الخاص الأمين (اولريخ گراف) ونادى ضابط الشرطة القائم على رأس السرية "لا تطلقوا النار! فإن صاحب العظمة لودندورف قادم" في هذه اللحظة الدقيقة المرجحة لم ينس تائر ألماني ومصارع هاو وشقي محترف الشقاوة أن يشير الى سيد باللقب المناسب! وأردفه هتلر بصرخة ثانية "استسلموا! استسلموا!" لكن ضابط الشرطة المجهول لم يستسلم إذ بدا أن اسم لودندورف لم يكن فيه ذلك التأثير السحري عليه. انها الشرطة لا الجيش.

لا يعلم حتى الآن من كان الباديء باطلاق النار فكل جهة تضع المسؤولية على عاتق الأخرى. وشهد أحد المتفرجين فيما بعد ان هتلر كان أول من اطلق مسدسه. وخيل لآخر أن المطلق الأول (شترايخر). وأسر أكثر من واحد من النازيين للمؤلف بأن هذه المأثرة هي التي أدت مكانته من هتلر أكثر من أي شيء آخر^(١٤).

على كل حال فقد ثارت. وما هي لحظة حتى إنهمر وابل من الرصاص وبهما لفظ حكم القضاء المبرم على آمال هتلر. سقط شويبنر-ريختر مصاباً بجرح مميت. وبرك (گورنگ) على الارض وقد جرح في فخذه جرحاً بليغاً. ويعد ستين ثانية توقف الجمانبان عن اطلاق النار وانتشرت الاجساد الساقطة في طول الشارع. صرع ستة عشر نازياً. ومات ثلاثة من أفراد الشرطة أو كانوا في ساعة النزاع الأخير

١٤- بعد مرور سنوات قال هتلر عند مصادفته على تعيين شترايخر الحاكم النازي لمحافظة فرانكونيا رغم وقوف عدد كبير من رفاق الحزب موقف المعارضة: "ربما يوجد واحد أو اثنان لا يعجبهما شكل الرفيق شترايخر. لكنه عندما القى بنفسه على الرصيف الى جانبي في ذلك اليوم قرب (فلدهرنهاله) حلفت في نفسي أن لا اتركه أو اتخلى عنه طالما هو لا يتخلى عني"، هايدن: "هتلر: سيرة حياة" ص ١٥٧

وجرح أكثر من ذلك بكثير. أما الناجون ومنهم هتلر فقد القوا بأنفسهم على بلاط الشارع اتقاء الرصاص.

كان ثم مستثنى واحد لو سار الآخرون على نهجه لإنتهى اليوم بغير ما انتهى اليه. لم يلق لوندندورف بنفسه على الأرض بل ظلّ منتصباً كالطود متحدياً بحسب ارفع التقاليد العسكرية. ووقف الى جانبه الرائد (شتريك Streck) ثم سار بهدوء وقدم ثابتة بين فوهات بندقيات الشرطة حتى بلغ (ديون پلاتز). لاشك وأن الناظر كان يجد شخصية فريدة غريبة. إذ لم يتبعه نازي واحد، لم يتبعه حتى زعيم الحزب الأعلى أدولف هتلر.

وكان مستشار الرايخ الثالث المقبل، أول الزاحفين الى منطقة الأمان. في أول الزحف عمد الى شبك ذراعه اليسرى بذراع (شوينبر-ريختر) اليمنى (اشارة غريبة لكنها ذات دلالة) ولما دنا الرتل من الشرطة وسقط الأخير جرّ معه هتلر الى بلاط الشارع. وربما حسب هتلر أنه أصيب، فقد شعر بألمٍ حادٍ تبين له فيما بعد أنه متأت من خلع في ذراعه لكن الحقيقة ظلت مطابقة لشهادة الطبيب قالتر شولز Walther Schulz الذي كان واحداً من أفراد الرتل النازي، وتأيدت شهادته بشهادات عدة: يقول "ان هتلر كان أول من نهض وتقهقر منسحباً" تاركاً رفاقه القتلى والجرحى على أرض الشارع. وقد جرّ جرّاً الى سيارة كانت بالانتظار ونقل حالا الى منزل آل هانفشتانكل الريفي في أوفنك Uffing حيث أشرفت على معالجه زوجته "پوتزي" واخته. وفي المنزل نفسه تم إلقاء القبض عليه بعد يومين.

وألقي القبض على (لودندورف) في محلّ الحادث. وكان قد امتلأ قلبه بالاحتقار للشوار الذين لم يجدوا في انفسهم الشجاعة للسير الى الأمام معه وحقد أيضاً على الجيش لأنه لم ينجز الى جانبه. حتى صرخ أنه لن يحترم بعد الآن ضابطاً ألمانياً واحداً ولن يرتدي بزة عسكرية مهما كانت الظروف. وقام باسعاف الجريح (گورنگ) يهودي صاحب بنك مجاور ثم هربته زوجه عبر الحدود الى النمسا وادخلته مستشفى انزبروك Innsbruck وفرّ (هيس) الى النمسا أيضاً. وفي وزارة الحرب استسلم (روهم) بعد ساعتين من القضاء على الحركة أمام (فلدهرنهاله). ولم تمرّ أيام قلائل حتى تمّ إلقاء القبض على كل اقطاب الحزب وادعوا التوقيف بإستثناء (گورنگ وهيس). وهكذا ختم على مصير المؤامرة النازية بالفشل التام، وحلّ الحزب وبدا وكأن القومية الإشتراكية لن تقوم لها قائمة. وبدا وكأن زعيمها الدكتاتور النزع الذي اطلق ساقيه للريح عند أول رشقة من الرصاص قد قضى على سمعته قضاءً مبرماً، وانتهى مستقبله السياسي الصاروخي.

-٦-

المحاكمة بتهمة الخيانة

ظهر فيما بعد أن مستقبله السياسي لم يصب إلا بكبوّة لم تدم طويلاً. كان هتلر من بعد النظر بحيث وجد ان محاكمته لن تنهي شأنه وتختتم على مصيره بل ستكون بمثابة منبر للتنديد بالسلطات

الانتهازية المساومة التي قبضت عليه، بل (وهذا في غاية من الأهمية) ليجعل اسمه للمرة الأولى شهيراً خارج حدود بافاريا ومن ثم خارج حدود ألمانيا وكان يعلم جيداً أن مراسلي الصحافة العالمية فضلاً عن مراسلي صحف ألمانيا الكبرى سيتقاطرون الى مونيخ لمتابعة وقائع محاكمته التي بدأت في ٢٦ شباط ١٩٢٤ أمام محكمة خاصة عقدت جلساتها في مدرسة تدريب المشاة القديمة في بلوتنبرك شتراسه Blumenburgstrasse وفي ختام الأيام الأربعة والعشرين التي استغرقتها المحاكمة، حوّل هتلر هزيمته الى إنتصار، وجعل (كاهر) و(لوسوف) و(سايسر) شركاء له في الجريمة أمام الرأي العام. وهبأهم لتلقي الضربة القاضية. كما استطاع أن يدهش الشعب الألماني بفصاحته ولهيب شعوره القومي. ورفع اسمه الى صدور الصحائف الأولى من امهات الجرائد العالمية.

ومع ان (لودندورف) كان اهم وأبعد شهرة وصيتاً من سائر المتهمين العشرة بلا جدال إلا ان هتلر سارع باحتكار كلّ الأنوار لنفسه وبقي مسيطراً بشخصيته على قاعة المحاكمة من البداية حتى النهاية. كان (فرانز غورتنر Franz Geurtner) وزير العدل البافاري صديقاً حميماً وحامياً للزعيم النازي فدبر ان تكون هيئة القضاة متساهلة ليئة وترك هتلر يقاطع الشهود على هواه دون اعتراض ويستجوبهم ويدافع عن نفسه أي وقت رغب ومهما امتد به الزمن. وقد استغرق دفاعه الأول أربع ساعات. وكان لا يختلف عن خطبة من خطبه الطويلة العديدة.

لم يكن في نيته ارتكاب الخطأ الذي وقع فيه المتهمون في تدبير مؤامرة (كاب) عند محاكمتهم فقد ادعوا على ما قيل: "انهم لا يعرفون شيئاً ولم يقصدوا امراً، ولم يعملوا لغرض" ذلك هو الموقف الذي دمّر العالم البرجوازي! انهم لم يقفوا موقف المصّر على عمله... لم يقفوا بمواجهة القاضي ليقولوا: "أجل هذا هو ما اردناه... اردنا القضاء على نظام الحكم".

وأعلن هتلر أمام القاضي ومثلي الصحافة العالمية في مدينة مونيخ بكل فخر واعتزاز "أنا وحدي أتحمّل المسؤولية. لكنني لست مجرمًا لهذا السبب. وان وقفت اليوم بوصفي ثائراً، فأنا ثائر ضدّ الثورة... ليس ثم شيء يصح نعته بالخيانة العظمى ضدّ خونة ١٩١٨". وان وجد فالمثلث الذي يرأس الحكومة والجيش والشرطة في بافاريا هو ايضاً مجرم لأنه تأمر على الحكومة المركزية ويجب ان يوضعوا معه في قفص الاتهام لا ان يقفوا موقف الشهادة ويصبحوا مدعين رئيسيين عليه. وهكذا قلب ظهر المجن ببراءة وحذق على وجه المثلث القلق المثقل بوزر الجريمة: "شيء واحد هو مؤكد ثابت... (لوسوف وكاهر وسايسر) ارادوا ما اردنا- ارادوا التخلص من حكومة الرايخ... فإن رسم عملنا بمبسم الخيانة العظمى فلوسوف وكاهر وسايسر شركاؤنا في جريمة الخيانة العظمى هذه. لأننا لم نتداول ولم نبحث طوال الاسابيع الأخيرة إلا في الأهداف والغايات التي نقف اليوم متهمين بها..."

لم يكن في مقدور "المثلث" انكار ذلك لأنه حقيقي. ولم يكن كاهر وسايسر ندين قريعين لهتلر ووخراته. على ان (لوسوف) دفع تهم هتلر عن نفسه بقوة وتحد. وقال للمحكمة "أنا لم أكن ضابطاً متقاعداً komitadji بل أشغل في الدولة منصباً كبيراً" وأهال على رأس هتلر من الزاوية والاحتقار ما يشعر به ضابط قديم عريق ازاء نائب عريف سابق فاشي عاطل حديث نعمة قاده طموحه الغلاب الى

حدّ محاولة املاء أوامره على الجيش والدولة. ثم تساءل الى أي مدى من الاستهتار قد وصل هذا الديماغوغي المتهور منذ الأيام التي كان يرغب أن يصبح مجرد "قارع طبل" في الحركة الوطنية وهي مسافة ليست بعيدة.

مجرد قارع طبل؟ عرف هتلر كيف يجيب على هذا قال: "ما أصغر افكار صغار الرجال! ثقوا اني لا أعتبر التكليف بمنصب الوزارة شيئاً يسوى المجاهدة في سبيله. وليس يليق برجل عظيم أن يدخل سفر التاريخ عن طريق صيرورته وزيراً. إن المرء ليخشى على نفسه من ان يدفن قرب الوزارة. فلقد اردت أن اكون القضاء المبرم على الماركسية وسأقوم بإنجاز هذه المهمة وإن انا اجاهد في سبيل هذا المرام فلنقب وزير سيكون شيئاً تافهاً حقيراً بالنسبة لي.

وضرب بـ(فاكنر) مثلاً: " عندما وقفت على ضريح (فاكنر) لأول مرة. أفعم قلبي فخراً بذلك الرجل الذي أبى أن ينقش على قبره مثل هذه العبارة (هنا يرقد عضو مجلس المدينة، قائد الاوركسترا، سعادة البارون ريشارد فون فاكنر) كنت فخوراً لأن هذا الرجل ككثير غيره في تاريخ ألمانيا قنعوا بمنح اسمائهم للتاريخ دون ألقاب. وليس تواضعاً مني رغبتني في ان أصبح (طبالاً) في تلك الأيام. كانت تلك أسمى أمنية، اما غيرها فليس شيئاً مذكوراً."

وانهم بأنه اراد القفز من وظيفة (طبال) الى مقام الدكتاتور فلم ينكر ذلك. فهذا حكم القدر. "ان الذي خلق ليكون دكتاتوراً ليس مضطراً له. إنه سيكونه. ولن يدفعه الآخرون الى الأمام بل سيدفع نفسه وليس في هذا خيلاء أو عدم تواضع. ايكون من الخيلاء أن يدفع العامل نفسه الى العمل الشاق؟ أهو من قبيل الإدعاء الفارغ أن يقضي رجل مفكر كبير الدماغ، لياليه ليقدّم اختراعاً للعالم؟ لا حق للرجل الذي يدعى لحكم شعب من الشعوب أن يقول: ان اردتوني أو استقدمتوني فسأتعاون معكم. كلاً وحاشا! إن واجبه يحتم عليه التقدم الى الأمام."

كان إيمانه بنفسه وبحتمية دعوته الى حكم الأمة لم ينقص حتى عند وقوفه في قفص الاتهام مواجهاً حكماً طويلاً بالسجن لجرمة الخيانة ضدّ بلاده. ولقد قام وهو في السجن بانتظار المحاكمة بتحليل أسباب فشله في الانقلاب وأقسم أن لا يرتكب الاخطاء نفسها في المستقبل. وتذكر ما كان يجول في رأسه من افكار آنذاك بعد ثلاثة عشر عاماً من بلوغه هدفه فقال لأعوانه القديما المجتمعين في حانة البيرة احتفالاً بذكرى الانقلاب: "اقول بكل هدوء انه كان اعجل قرار واشده تهوراً في حياتي. وكلما عدت بذاكرتي اليه طاش عقلي... لو رايتم اليوم واحدة من فصائلنا للعام ١٩٢٣ وهي تمر أمامكم لما تمالكتم أنفسكم من السؤال: (من أيّ سجن انطلق هؤلاء؟) لكن القدر إستجاب وانحاز اليها. فلم يسمح بنجاح عمل كان سيؤدي بالنتيجة الى فاجعة حتمية بسبب عدم نضوج الحركة من الداخل في تلك الأيام ولضعف الاسس التنظيمية والفكرية... لقد ادركنا أن القضاء على النظام السياسي القديم ليس يكافٍ لكن يجب علينا أن نسبق هذا بينا الدولة الجديدة حتى تكون مهياًة وتحت اليد... في العام ١٩٣٣ لم تعد المسألة مسألة اسقاط دولة يعمل من أعمال القوة، كنا وقتذاك قد اتمنا بناء الدولة الجديدة وكل ما وجب علينا عمله هو تحطيم آخر بقايا الدولة القديمة- ولم

يقتضينا ذلك إلا ساعات قليلة".

وكانت مشكلة بناء الدولة النازية الجديدة تحتل فكره عندما راح يناظر القضاة ووكلاء الادعاء العام أثناء المحاكمة. ينبغي له في المقام الأول- أن يكسب الجيش الألماني الى صفه، لا أن يجعله ضده في الجولة التالية. وفي دفاعه الختامي ظلّ يضرب على وتر التصافي مع القوات المسلحة. ولم يوجه كلمة لوم واحدة الى الجيش: "...وفي اعتقادي ان الساعة ستحين عندما تتحدّ كتل الجماهير التي تقف الآن في الشارع تحت علم الصليب المعقوف مع أولئك الذين اطلقوا النار عليهم... عندما علمت أن الشرطة (الخضراء) هي التي اطلقت الرصاص. فرحت لأن الجيش الألماني لم يلطخ صفحته النقية. انه الجيش يقف طاهراً من أيّ وصمة كما وقف في الماضي. وفي يوم ما ستأتي الساعة التي يقف بها الجيش الألماني الى صفنا ضباطاً وجنوداً.

كانت نبوءة صائبة. لكن قاضي المرافعة قاطعه هنا قائلاً:

- هر هتلر، انت تقول الشرطة (الخضراء) قد لطخت بالعار. وهذا ما لا اسمح به.

ولكن المتهم لم يعر أيّ إهتمام بتأنيب الحاكم. وختم دفاعه بكلمات أخيرة تركت المتفرجين في قاعة المحكمة مصروعين دهشة:

"إن الجيش الذي ننساه يوماً بعد يوم... وأني لأنتعش إنتعاشاً بالامل الفخور حين ادرك ان الساعة ستأتي في يومٍ من الأيام عندما تتقلب هذه السرايا المستجدة الى افواج والافواج الى ألوية والألوية الى فرق. وأن ترفع شارة الخوذة من الوحل. وأن ترفرف الأعلام ثانيةً وان يكون التصافي في آخر يوم دينونةٍ إلهيٍ عظيمٍ تهبأنا لمواجهة.

ثم حوّل عينيه المتقدتين شواظاً الى القضاة مباشرةً:

"لستم ايها السادة، بالذين تلفظون الحكم علينا. فقد نظقت بالحكم محكمة التاريخ الأزلية. إن الحكم الذي ستفرضونه أعرفه وتملك المحكمة أن تسألنا: (هل انتم مجرمون بجريمة الخيانة العظمى أم لا؟) تلك المحكمة ستحكم علينا على رئيس هيئة الأركان العام للجيش القديم [لودندورف]، وضباطه، وجنوده، وستجدنا ألماناً لم يريدوا إلا الخير لشعبهم ولأرض وطنهم. يريدون القتال والموت، لكم ان تعتبرونا مذنبين ألف مرة. لكن آلهة محكمة التاريخ الأزلية ستضحك وتمزق لائحة الادعاء العام وقرار هذه المحكمة مزقاً وقصاصات. لأنها برأتنا^(١٥)".

كانت العقوبات، إن لم نقل الاحكام، التي اصدرها القضاة المتصدرون لاتبعد كثيراً عن حكم التاريخ كما كتب (كونراد هايدن). فقد برّيء (لودندورف) وثبت الجرم على هتلر وباقي المتهمين. ولكن هتلر حكم عليه بالسجن خمسة أعوام في قلعة لاندسبرگ Landsberg العتيقة في حين كان نصّ المادة (٨١) من قانون العقوبات الألماني يورد الحكم كالاتي: "كُلّ من يحاول بالقوة، تغيير دستور الرايخ الألماني أو دستور أيّ دولة ألمانية يعاقب بالحبس المؤبد". ومع ذلك احتجّ جمهوره المحلفين في وقتها على قسوة الحكم لكن رئيس المحكمة أكد لهم أن السجين سيكون أهلاً للعفو بعد أن يقضي

١٥- وقائع المحكمة مثبتة في كتاب (محاكمة هتلر Der Hitler Prozess).

سنة أشهر من عقوبته. ولم تثمر جهود الشرطة في ابعاد هتلر عن البلاد بوصفه نمساوي الجنسية. وصدر الحكم في (١) نيسان ١٩٢٤ ولم تنقض تسعة أشهر عليه حتى اطلق سراحه في ٢٠ كانون الثاني ومنح الحرية لمواصلة كفاحه للقضاء على الدولة الديموقراطية. إن التبعية التي تتحملها بإرتكابك جرم الخيانة العظمي ليست عسيرة إن كنت رجلاً من أقصى اليمين رغم أنف القانون. وهذا أمر ليس بالمجهول عند عدد كبير من الجمهوريين.

وعملت المؤامرة الإنتقالية من هتلر -رغم فشلها- شخصية وطنية وجعلته في أعين الكثير مجاهداً قومياً وبطلاً. وسرعان ما حولتها الدعاية النازية الى أسطورة من أعظم أساطير الحركة. وظلّ هتلر حتى بعد وصوله دست الحكم وبعد اندلاع الحرب العظمى الثانية يحيي ذكرى الواقعة كل سنة فيعود في مساء الثامن من تشرين الثاني الى قاعة البييرة في مونيخ ليخطب في رفاقه من الحرس القديم alte kaempfer (كما يطلق عليهم) الذين ساروا خلف الزعيم إلى ما بدا آنذاك، كارثة مضحكة. وفي عام ١٩٣٥ أمر المستشار هتلر بنش قبور النازيين الستة عشر الذين سقطوا في المعركة القصيرة وان تستخرج رفاتهم وتوضع في توابيت وأضرحة في (فلدهرنهاله) التي أصبحت مزاراً وطنياً. وقال عنهم هتلر عندما أزاح الستار عن النصب التذكري "أنهم الآن أصبحوا في عداد الألمان الخالدين يشوون هنا لأجل ألمانيا ويحرسون شعبها. هنا يرقدون شاهداً صادقاً على حركتنا". ولم يضاف الى هذا، ولم يتذكر أحد من الألمان إنهم أولئك الرجال الذين تخلى عنهم هتلر وتركهم يقضون أجالهم بينما تحامل على نفسه من سقطته على الرصيف وفر هارباً.

في واحد من أيام ذلك الصيف ١٩٢٤، وفي قلعة لاندسبرگ العتيقة التي تقوم متشامخة فوق مجرى نهر "ليخ" Lech حيث كان أدولف هتلر يعامل معاملة الضيف الكريم، وقد افردت له غرفة خاصة تطل على منظر طبيعي رائع. أخرج الزوار الذين تقاطروا لتقديم الولاء له وجلب الهدايا. ثم استدعي التابع الأمين (رودولف هيس) الذي عاد الى مونيخ فيما بعد ليتلقى حكمه بالسجن. وبدأ يملي عليه فصلاً بعد فصلٍ من كتاب^(١٦) يؤلفه.

١٦- قبل وصول (هيس) كان (اميل موريس) قد قام بتدوين بعض الفصول التمهيدية وهو مجرم من ارباب السوابق. ومصالح ساعات وأول قائد للحرس النازي المسلح.